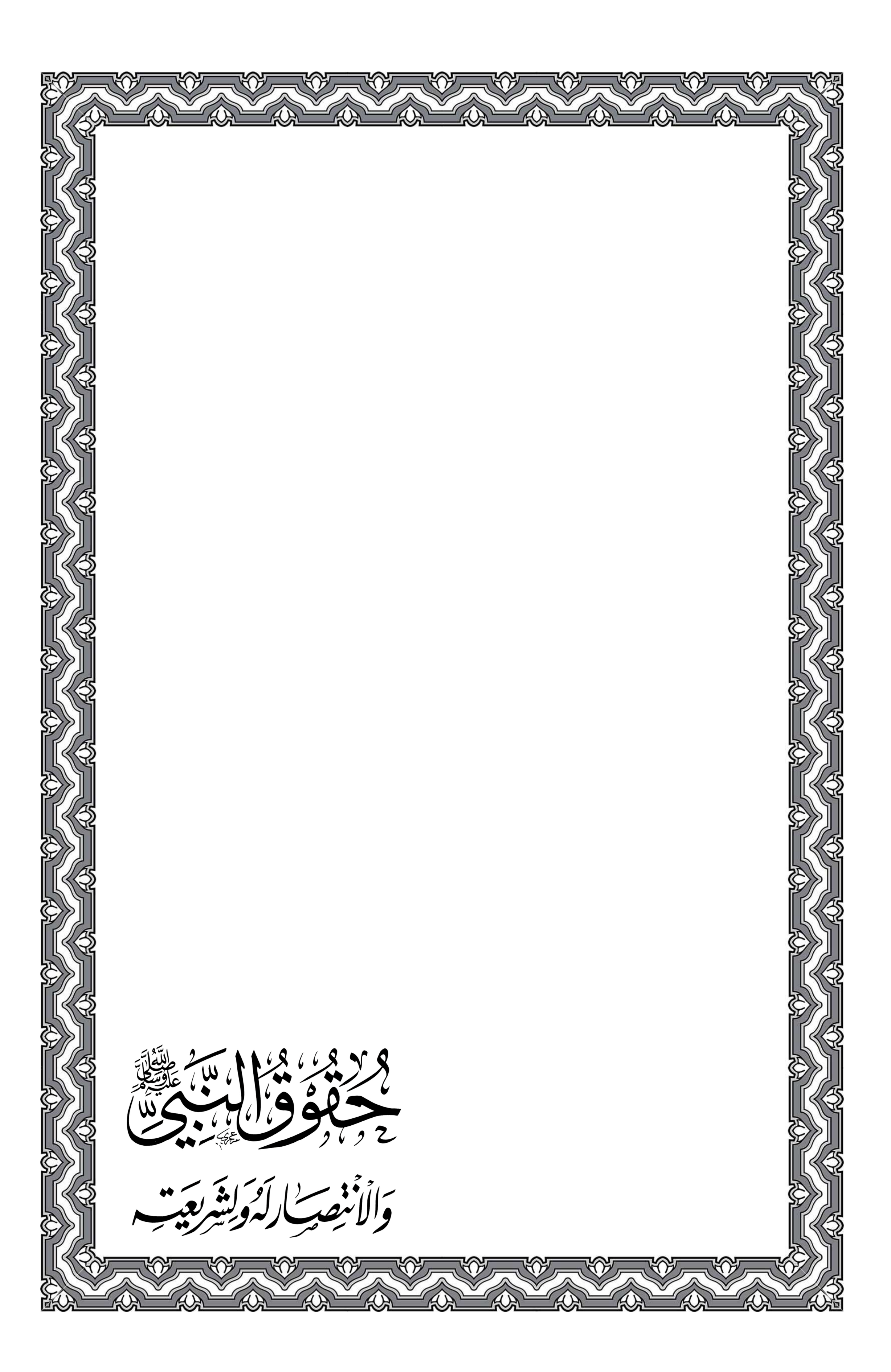
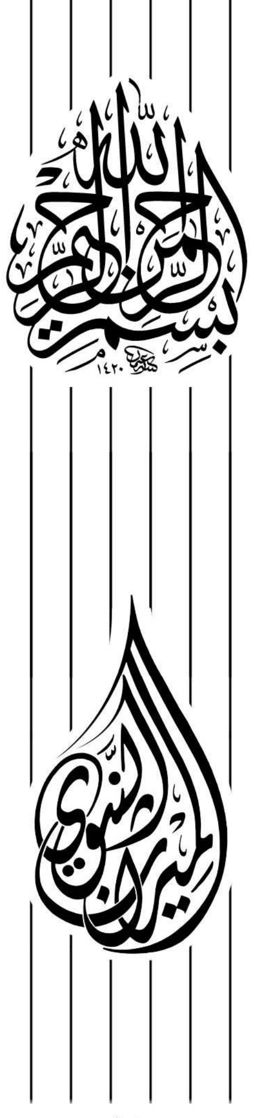


حقوق النبي ﷺ

والانتصار له ولشريعته





الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

العلم ميراث النبي كذا أتـى ... في النص والعلماء هم وراثـه
ما خلَّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثـه

رقم الإيداع القانوني:244 -2010

ردمــــــك: 2-91-944-9947-978

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

بـــرج الكيفان - الجـــزائر

الإدارة : جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات : 550103691 (00213)

البريد الإلكتروني : Dar.mirath@gmail.com

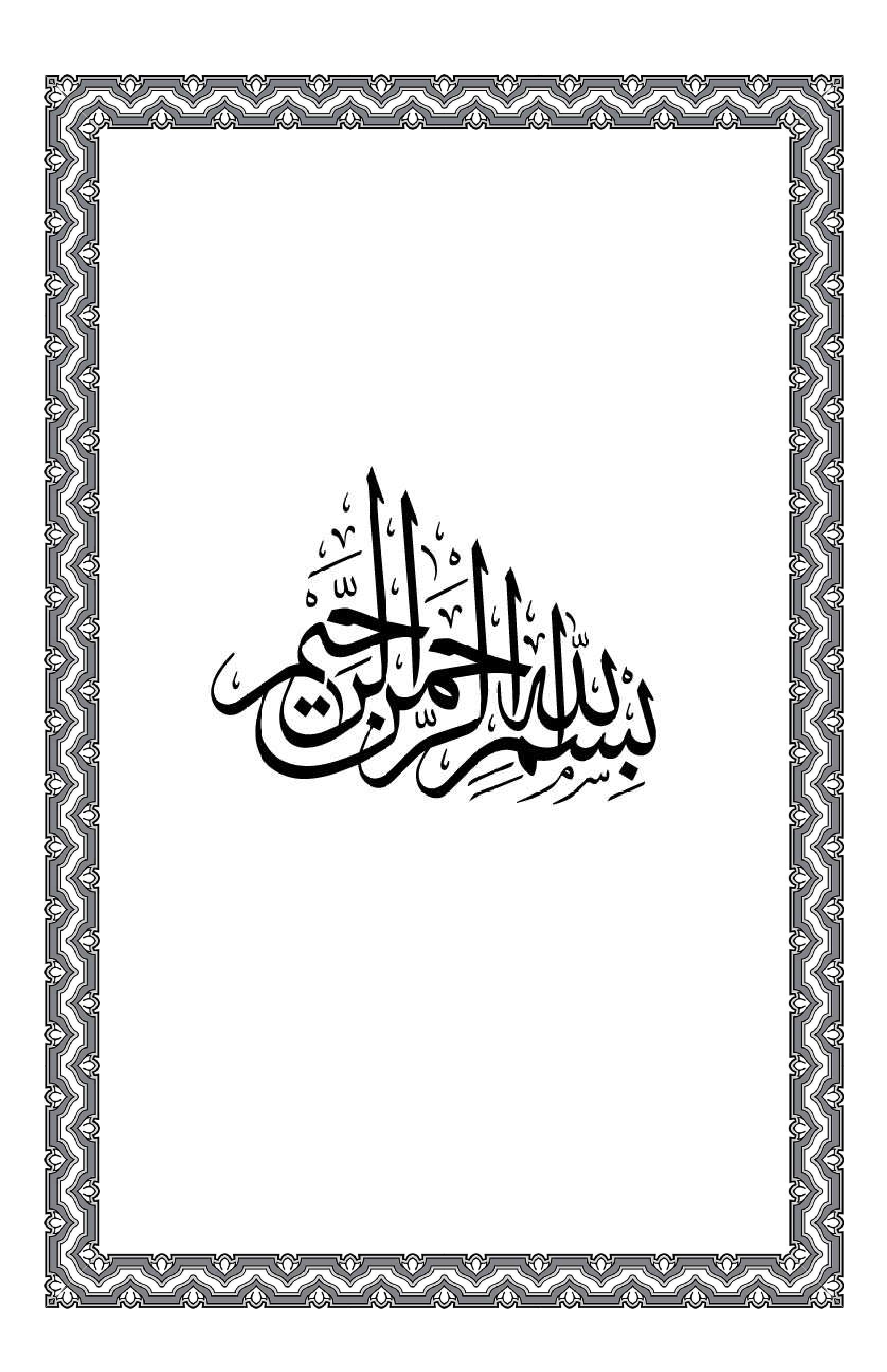


فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة الرسول ﷺ وحقوقه

محاضرة للشيخ

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

ألقاها بمدينة جدّة

بتاريخ ٢١/٢/١٤٢٦هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ، نَحمَدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلهُ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمّا بعد:

فحديثنا في هذه الليلة المباركة حديثٌ عن أَعظَمِ رجلٍ، وأَعلَمِ رسولٍ عند الله وعند الملائكة وعند الرسل وفي التاريخ الإسلامي وفي الكتب السماوية وفي القرآنِ والسُّنَّةِ ﷺ.

فهو أَعظَمُ رجلٍ وأَعظَمُ رسولٍ، وتظهر مكانتُه في الآخرة، إذ هو سيّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامةِ، وصاحبُ الشفاعةِ العُظمَى، وصاحبُ المقامِ المحمودِ، صَلَواتُ اللهِ وسلامُه عليه.

ولا أستطيع أن أُوَفِّيَه حقَّه ﷺ في هذا المقام، وقد كتبتُ ليستفيد السامعون، لأنَّ الارتِجالَ قد يكون فيه خلل، ولتَتِمَّ الفائدةُ كَتَبتُ هذا الموضوع، وأَطَلتُ فيه قليلًا، فأرجو الصَّبرَ وطُولَ النَّفَس، لنحصل جميعًا على الفائدة من هذا الموضوع الشيِّق العظيم.

أسأل الله أن يرزقنا وإيَّاكم مَحبَّة هذا الرسولِ ﷺ، والإخلاص في كلِّ ما نقول ونفعل.

وأبدأ الآن فأقول:

فهذه كلمةٌ في بيان مكانةِ رسولِ الله ﷺ وبيانِ حقوقِه على هذه الأُمّة، أي: أُمَّة الإجابة، وأُمّة الدعوة من الجنّ والإنس.

إنّ لرسولِ اللهِ الكريمِ ﷺ مكانةً عظيمةً، ومَنْزِلةً رفيعةً، لَم يبلغها أحدٌ من الْخَلْقِ، فهو سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يومَ القيامة، آدمُ ومَن دُونَهُ تحت لوائه ﷺ.

ولقد أُوتِيَ الشفاعةَ العُظمَى، التي اعتذر عنها أُولُو العَزمِ من الرُّسُل، والتي اختصَّه اللهُ بها وآثَرَهُ بها على العالَمِين.

ولقد كَرَّمَهُ ربُّه ﷻ واختَصَّهُ بِمَكرُماتٍ جَزيلةٍ لَم يُعطِها لأحدٍ مِن قَبلِهِ من الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم أجمعين، وكلُّهم لهم مَنْزِلةٌ رفيعةٌ عند الله.

فعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النّبِيّونَ**» [صحيح مسلم: ٥٢٣].

وروى البخاري قريبٌ من هذا.

وفي حديث جابر: «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**» [البخاري: ٣٢٨، ومسلم: ٥٢١].

وقال تعالى في بيانِ مَنْزِلتِه ﷺ وبيانِ صفاته الكريمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالى في بيان مَنْزِلتِه العظيمةِ وصفاتِه الكريمةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

وقال تعالى مُنَوِّهًا بذِكرِه ومكانتِه عِندَهُ ونِعمَتِه عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

قال ابنُ عبّاس: «شَرَحَهُ بنُورِ الإسلام».

وقال سَهل: «بنور الرسالة».

وقال الْحَسَنُ: «مَلأَهُ حكمةً وعلمًا».

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾:

قال الإمام السعدي رحمه الله: «﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: نُوَسِّعْهُ لشرائعِ الدِّينِ والدعوةِ إلى الله، والاتِّصافِ بِمكارمِ الأخلاقِ، والإقبالِ على الآخرةِ، وتسهيلِ الخيراتِ، فلم يكن ضَيِّقًا حَرَجًا. ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ وَوَضَعنَا عنك وِزْرَكَ الذي أَثقَلَ ظَهْرَكَ، كقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أَعْلَيْنا قَدْرَكَ، وجَعَلنا لكَ الثَّناءَ الْحَسَنَ العالي، الذي لم يَصِل إليه أحدٌ من الخلق، فلا يُذكَرُ اللهُ إلاَّ ذُكِرَ معه رسولُه مُحمَّدٌ ﷺ، كما في الدخول في

الإسلام، وفي الأذان والإقامة والخُطَب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى بها اللهُ ذِكرَ رسولِه مُحمَّدٍ ﷺ، وله في قلوب أُمَّتِه من الْمَحَبَّة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحدٍ غيرِه بعدَ الله تعالى، فجزاه عن أمَّته أفضل ما جزى نبيًّا عن أُمَّتِه»؟ا، انظر: «تفسير السعدي» لهذه السورة.

وأَقْسَمَ اللهُ بعظيمِ قَدْرِه فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَقْسَمَ تعالى بحياةِ نَبيِّهِ ﷺ، وفي هذا تشريفٌ عظيمٌ، ومقامٌ رفيعٌ، وجاهٌ عريضٌ.

قال عمر بن مالك النُّكْرِي عن أبي الجوزاء عن ابن عبّاس أنّه قال: «ما خَلَقَ اللهُ، وما بَرَأَ نفسًا أَكْرَمَ عليه من مُحمَّدٍ ﷺ، وما سَمِعتُ اللهَ أَقْسَمَ بِحياةِ أَحَدٍ غيرِه، قال الله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يقول: وَحَياتِكَ وعمرِكَ وبقائِكَ في الدنيا إنّهم لفي سَكْرَتِهِم يَعْمَهُون، أي: يَلعَبُون».

وفي روايةٍ عن ابنِ عبّاس: «يترددون».

أقول: لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُقسِمَ بِما شاء من مخلوقاته، كما أقسم بالضحى والليل والشمس وضحاها والسماء . . . إلخ.

وأمّا العباد فليس لهم أن يَحْلِفُوا إلاّ بالله، و«**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**».

وقال تعالى مُبيِّنًا عنايتَه برسولِه، ورعايتَه له، وحفاوتَه به: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [سورة الضحى].

قال ابن كثير: «قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو نُعَيْم حدّثنا سفيان عن الأسود ابن قيس قال: سمعتُ جُندُبًا يقول: «اِشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فأَتَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ؛ مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إلاَّ قَدْ تَرَكَكَ! فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾» ».

قال ابنُ كثير: «ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأسود بن قيس عن جُندُب بنِ عبدِ الله البَجَلِي ثمّ العلقي به.

وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس سمع جندبًا قال: «أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَ مُحَمَّدًا ربُّهُ! فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾» ».

قلتُ: يُدافع عن نبيِّه الكريم ﷺ!

ثم قال ﵀ (ابن كثير): «وهذا قَسَمٌ منه تعالى (الضُّحى) وما جعل فيه من ضِياء، و(الليل إذا سَجى) أي: سَكَن فأَظْلَمَ وَادْلَهَمَّ، قاله مجاهد وقتادة والضحّاك وغيرُهم، وذلك دليل على قُدرة خالقِ هذا وهذا.

وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أي: ما تَرَكَكَ ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما أَبْغَضَكَ،

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: وَلَلدَّارُ الآخرةُ خيرٌ لك من هذه الدار، ولهذا كان رسولُ اللهِ ﷺ أَزهَدَ الناسِ في الدنيا، وأَعظَمَهُم لها اطِّرَاحًا، كما هو معلومٌ بالضرورة من سِيرَتِه. وَلَمَّا خُيِّر في آخِرِ عُمُرِه بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثُمّ الْجَنَّة، وبين الصَّيْرُورَةِ إلى الله ﷻ اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدَّنِيَّة.

قال ﷺ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ تَحْتَ شَجَرَةْ، ثُمَّ تَرَكَهَا وَذَهَبَ**».

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ يعني بذلك ما أَعَدَّهُ اللهُ له في الآخرة مِن الْجِنان والنعيمِ، ومِن رُؤيةِ ربِّه والحوض والشفاعة وسائر ما أَكرَمَهُ اللهُ به في الآخرة.

ثُمّ عدَّد اللهُ ما أفاض عليه من النِّعَمِ، ورَعاهُ وهو يتيم وآواه إلى أن اصطفاه لرسالته، فأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلّمه ما لم يَكُن يَعلَمُ، وكان فَضْلُ اللهِ عليه عظيما» ؟!.

قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ»: «تَضَمَّنَت هذه السورةُ مِن كرامةِ اللهِ له، وتنويهِه به، وتعظيمِه إيّاه سِتَّةَ وجوهْ:

الأوّلُ: القَسَمُ له عَمَّا أخبَرَهُ به من حاله بقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: ورَبِّ الضحى، وهذا من أَعظَمِ درجاتِ المبرَّة.

الثاني: بيانُ مكانتِه عندَه وحَظْوَتِهِ لَدَيْهِ بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما تَرَكَكَ، وما أَبغَضَكَ، وقيل: ما أَهْمَلَكَ بعد أنِ اصْطَفاكَ.

الثالثُ: قولُه تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قال ابن إسحاق: «أي: مَآلُكَ في مَرْجِعِك عند اللهِ أَعظَمُ مِمَّا أعطاكَ مِن كرامةِ الدنيا»، وقال سَهل: «أي: ما ادَّخرتُ لك من الشفاعةِ والمقامِ الْمَحمُودِ خيرٌ لك مِمَّا أعطيتُكَ في الدنيا».

الرابعُ: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ وهذه آيةٌ جامعةٌ لوُجوهِ الكرامةِ، وأنواعِ السَّعادةِ، وشَتاتِ الإنعامِ في الدَّارَيْنِ والزيادة، قال ابن إسحاق: «يُرضِيهِ بالفَلَح[1] في الدنيا، والثواب في الآخرة»، وقيل: الحوض والشفاعة.

---

(١) أي النصرة والغلبة.

الخامسُ: ما عَدَّه تعالى عليه من نِعَمِه، وقَرَّرَهُ مِن آلائه قِبَلَهُ في بَقِيّةِ السورة مِن هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به، على اختلاف التفاسير، ولا مالَ له فأغناه بما آتاه، أو بِما جعل في قلبه من القناعة والغنى، ويتيما فحدب عليه عَمَّه، وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله . . . ذَكَّره بهذه الْمِنَنِ، وأنَّه على المعلوم من التفسير لم يُهْمِلْهُ في حال صِغَرِه وعَيْلَتِه ويُتْمِه وقبل مَعرِفَتِه به، ولا وَدَّعَه، ولا قَلاَهُ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه؟!

السادسُ: أَمْرُهُ بإظهار نِعمَتِه عليه، وشُكرِ ما شَرَّفَهُ به بنشره وإشادة ذكره، بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإنّ مِن شُكْر النِّعمة التَّحَدُّث بها، وهذا خاصٌّ له، عامٌّ لأُمَّتِه»!.



فَضلُ نَسَبِهِ ﷺ

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**» [مسلم: ٢٢٧٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**» [البخاري: مناقب ٣٥٥٧].

فهو: أبو القاسم مُحمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ بنِ عبدِ مناف ابنِ قُصي بنِ كلاب بنِ مُرّةَ بنِ كَعْب بنِ لُؤَي بنِ غالب بنِ فهر بنِ مالك بنِ النضر ابنِ كنانة بنِ خزيمةَ بنِ مدركة بنِ إلياس بنِ مضر بنِ نزار بنِ معد بنِ عدنان.

هذا مُتَّفقٌ على صِحَّتِهِ أي بين النُّسَّاب، وما فوق عدنان مُختَلَفٌ فيه، ولا خلاف أنّ عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وإسماعيل هو الذَّبيح على القول الصحيح، وجاء بهذا القولِ القرآنُ والسُنَّةُ، والقول بأنّه إسحاق باطل.

❁ ❁ ❁

حُسن خَلْقِه ﷺ(١)

عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ» [البخاري مناقب حديث ٣٥٤٩].

وعن البراء أيضًا قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» [البخاري ٣٥٥١].

وعن أبي إسحاق: سُئِل البراءُ: أكان وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ مثلَ السَّيْفِ؟ قال: «لَا؛ بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ» [البخاري ٣٥٥٢].

وعن عبدِ الله بنِ كَعْب قال: سمعتُ كعبَ بنَ مالك يُحدِّثُ حين تخلَّف عن تبوك قال: «سَلَّمتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ» [البخاري مناقب ٣٥٥٦]، فَرِح بتوبةِ صاحبِهِ ﷺ.

(١) هذه الأمور تقتضي محبَّته، وترفع مكانته في نفوس المؤمنين: فهو أفضل الناس نسبًا، وأحسن الناس خَلقًا، وأحسن الناس خُلُقًا ﷺ، وهذا من مقتضيات تقديره واحترامه ومحبَّته ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «مَا مَسَسْتُ حَرِيرًا وَلاَ دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ أَوْ عَرَقًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [رواه البخاري في المناقب ٣٥٦١].

وعن أبي جُحَيْفَةَ قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَتَوَضَّأَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ، وَقَامَ النَّاسُ فَجَعَلُوا يَأْخُذُونَ يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ، قال: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَى وَجْهِي، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ» [البخاري مناقب ٣٥٥٣].

هذه رائحةٌ طبيعيةٌ من نَفْسِهِ ﷺ، وليست من الدُّهُون والعطور ﷺ.

❁ ❁ ❁

أخلاقه الكريمة ﷺ

قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

قال المشركون فيه ﷺ: ساحرٌ ومَجنونٌ . . .

فدافع الله تعالى عن رسوله الكريم ﷺ، وردَّ على أعدائه، وأخزاهم، وبيَّن مكانته ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ».

ولنا فيه أُسْوَةٌ ﷺ.

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ

حَوْلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا» [البخاري مناقب ٣٥٥٩].

وعن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا» [البخاري مناقب ٣٥٦٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» [البخاري مناقب ٣٥٦٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلاَّ تَرَكَهُ» [البخاري مناقب ٣٥٦٣].

وهذا مِن حُسنِ معاملته وعِشرَتِه لأهلِه ﷺ ولأُمَّتِه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: «أُفًّا» قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ: «لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا»!».

وفي لفظ: «خَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: «لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟»، وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: «لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟»» [مسلم فضائل ٢٣٠٩].

وعنه رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا» [رواه مسلم في فضائل ٢٣١٠].

وعن جابر بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: «لا»».

وعن أنس رضي الله عنه قال: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ.

قال: فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ؛ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ» [مسلم فضائل ٢٣١٢].

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [مسلم فضائل ٢٣٠٨]، والمراد: كالرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ في إسرَاعِها وعمومها.



شجاعته ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ، عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا**»، قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا أَوْ: إِنَّهُ لَبَحْرٌ»، قال: «وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ» [مسلم فضائل ٢٣٠٧]، أي: أنّه كان بطيئًا، فلمّا رَكِبَهُ رسولُ اللهِ ﷺ كان مِن أَشَدِّ الْخَيْلِ جريًا وسعيًا، فقد باركَ اللهُ تعالى في سَعْيِه، وهذا مِن معجزاتِه ﷺ.

والحديث يدلُّ على أنَّ النّبيَّ ﷺ كان في منتهى الشجاعة.

وقال العبّاسُ بنُ عبدِ الْمُطَّلِب عمُّ النّبيِّ ﷺ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ

نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِي، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ[(١)] فَطَفِقَ الرَّسُولُ ﷺ يُرْكِضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ. قَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سَفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ؛ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ[(٢)]**»! فَقَالَ عَبَّاسُ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟! قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا! فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ! قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّار... إلى أن قال: فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**»! قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**»!، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَازِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا» [مسلم ١٧٧٥].

وهذا من معجزاتِه ﷺ: حَفْنَةٌ مِن ترابٍ مَلأَتْ عُيونَهُم وهَزَمَتْهُم.

ثُمَّ ساق مسلمٌ الحديث مختصرًا، وفيه: «وَقَالَ: **انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**»، وزاد: «حَتَّى هَزَمَهُمُ اللهُ، وَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ» [مسلم الجهاد ١٧٧٥].

ومِن حديثِ البراءِ رضي الله عنه عَن قِصَّةِ حُنَيْنٍ: «فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبُو

---

(١) لأنَّ الكفّارَ كانوا رماةً، وكَمنُوا للمسلمين في الجبال، فما فاجؤوهم إلاّ بالسِّهام، فرجع بعض الناس، ثُمّ عَطَفُوا على رسول الله ﷺ، وإلاّ فهم شجعان أبطال.

(٢) هُمُ الذين بَايَعُوهُ في الْحُدَيْبِيَة تحتَ الشجرةِ.

سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ نَصْرَكَ، قَالَ الْبَرَاءُ رضي الله عنه: كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ» [رواه مسلم في الجهاد ١٧٧٦].

وروى مُسلِمٌ قِصَّةَ حُنَيْنٍ مِن حديثِ سَلَمَةَ بْنِ الأكوعِ رضي الله عنه، وفيه: «فَلَمَّا غَشوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ! فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عز وجل، وَقَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ» [مسلم الجهاد ١٧٧٧].

❁ ❁ ❁

كونه ﷺ أعلمَ الناس بالله وأشدَّهم له خشية

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأَنَا أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» [البخاري حديث ٥٠٦٣].

وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرًا تَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ

نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ، وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: **مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ؟ فَوَاللهِ لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»** [البخاري في الاعتصام (٧٣٠١)، ومسلم في الفضائل (٦٠٦٢)].

وفي رواية عند مسلم: «فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ»(١).

وأخرجه البخاري في «باب ما يُكرَهُ من التَّعَمُّقِ والتنازعِ والغلوِّ في الدِّين والبدع»، وساق الآية: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

قال النووي رحمه الله: «فيه: الحثُّ على الاقتداءِ به، والنهيُ عن التَّعَمُّقِ في العبادة، وذَمُّ التَّنَزُّهِ عن المباح شَكًّا في إباحته، وفيه: الْغَضَبُ عند انتِهاكِ حُرُماتِ الشَّرْعِ، وإن كان الْمُنتَهِكُ مُتَأَوِّلًا تأويلًا(٢)، وفيه: حُسْنُ الْمُعاشَرة بإرسالِ التَّعْزِيرِ والإنكار في الْجَمْعِ، ولا يُعَيِّنُ فاعلَه، فيُقال: «ما بال أقوامٍ ونحوه»، وفيه: أن القُرْبَ إلى الله سببٌ في زيادة العلم»(٣).

أقول: والمقصود هنا بيان أنّ رسولَ اللهِ ﷺ أَعْلَمُ النَّاسِ باللهِ، وأَشَدُّهُم له خشيةً، ففِيهِ الرَّدُّ على فِكْرِ غُلاةِ الصوفية الذين يقولون: «إِنِّي أَعبُدُ اللهَ لا خوفًا مِن نارِهِ، ولا طَمَعًا في جنته»! وهذه زَنْدَقَةٌ والعياذ بالله تعالى! فالَّذِي لا يخاف اللهَ ليس بِمُؤمِنٍ، لأنَّ الخوفَ من اللهِ رُكنٌ من أركان الإيمان، ولا يقومُ الإيمان إلاّ به، ولا يَقومُ التوحيد إلَّا به.

وهناك نصوصٌ أخرى تَرَدُّ هذا الباطلَ، لا يَتَّسِعُ الْمَقامُ لسَرْدِها.

---

(١) لأنَّ الله يحبُّ أن تُؤتَى رُخصُه، كما يَكرَه أن تُؤتَى معصيتُه، فالتَّشَدُّد والتَّنَطُّع يُبْغِضُهُ رسولُ الله ﷺ، وغضِبَ لهذا ﷺ.

(٢) حتّى ولو كان متأوِّلًا، فهو مأجور في اجتهاده، لكن للعالم والناصح أن يُنكر عليه.

(٣) فرسولُ اللهِ ﷺ أَقرَبُ الناسِ إلى اللهِ ﷻ.

توَكُّله ﷺ على ربه ﷻ

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ١-٣]، والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

فكان صَلَواتُ اللهِ وسلامه عليه أفضلَ الْمُعتَصِمين بالله، وأفضلَ الْمُتوكِّلين على ربِّه جلَّ وعلا.

وقد حفظه اللهُ ووَقَاهُ كَيْدَ خصومِه وأعدائه، سواء كان في العهد المكّي أو العهد المدني، سواء في ميدانِ دعوتِه وتبليغِه، أو في ميادِينِ الغزوات والجهاد أو غيرها. وكان له في المدينة حُرَّاسٌ، فلمّا نزل قولُ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ أَعْفَى حُرَّاسَهُ من الحراسة، متوكِّلًا على الله ﷻ، واثقًا بوَعْدِ رَبِّه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاه[1]، فنَزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ شجرةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ ببعض من أغصانها. قال: فتَفَرَّقَ الناسُ في الوادي يَستَظِلُّون بالشجر، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إلاَّ وَالسَّيْفُ صلْتًا[2] فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ! ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ:**

---

(١) وهي الشجر ذات الشوك.

(٢) أي مسلولًا.

الله! قَالَ: فَشَامَ(١) السَّيْفُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ»، ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ) [متّفَقٌ عليه، وفي لفظ عند البخاري قال: (ولَمْ يُعَاقِبْهُ)، البخاري (المغازي: ٤١٣٩)، ومسلم (فضائل حديث ٨٤٣)]، وهذا من كريمِ شِيَمِه ومَعالِي أخلاقه ﷺ.

❁ ❁ ❁

شَفقَتُه ﷺ على أُمَّته

قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

عن أبي موسى الأشعري عن النّبيّ ﷺ قال: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: «يَا قَوْمِ! إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ(٢)، فَالنَّجَاءُ»! فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهَمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**» [البخاري ٦٨٥٤، ومسلم ٢٢٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ**

(١) أي أغمده.

(٢) شبَّه نَفْسَه ﷺ «النَّذيرِ العُرْيانِ» الحريصِ على سلامة أُمَّته ﷺ.

رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ»[(١)]، وفي رواية قال: «**فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ: هَلُمَّ عَنِ النَّارِ! هَلُمَّ عَنِ النَّارِ! فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا**» [متّفق عليه: البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٥)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ» [مسلم فضائل (٢٣١٦)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: «أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟» فَقَالُوا: «نَعَمْ»، فَقَالُوا: «لَكِنَّا وَاللهِ مَا نُقَبِّلُ»! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟!**»[(٢)] [مسلم (٢٣١٧)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ الأَقْرَعَ بنَ حَابِس أَبْصَرَ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: «إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ»! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**» [مسلم (٢٣١٨)].

وعن جَرِير بنِ عبدِ اللهِ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يرحمه الله** عز وجل»[(٣)] [البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩)].

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا فِعلُ العُصاةِ من أُمَّتِه ﷺ، وليست كل الأُمَّة هكذا، والحمد لله.

(٢) إنكارًا منه ﷺ عليهم.

(٣) الجزاء مِن جِنسِ العمل. فتراحموا فيما بينكم أيُّها المسلمون وتعاطفوا، كما أمركم الله تعالى بذلك، وإيَّاكم والقسوة والشدَّة.

حُقوقه علينا ﷺ

فمن حقوقه علينا:

❑ الإيمان به وأنّه رسول الله حقًّا، أرسله اللهُ إلى الإِنسِ والجنِّ بشيرًا ونذيرًا.

❑ والإيمان بعِصْمَتِه فيما بَلَّغَهُ عن رَبِّه تعالى.

❑ وأنّه خاتَمُ النَّبِيِّينَ ﷺ.

❑ وأنّه قد بَلَّغ رسالتَه على أكملِ الوجوه، ولذلك أَدِلَّةٌ كثيرةٌ، لا مجالَ لِذِكرِها هنا، وقد تَكَفَّل ببيانِها العلماءُ.

❑ ومن حقوقِه وُجوبُ تَعزيرِه وتَوْقِيرِه والتَّأَدُّبِ معه ﷺ.

قال تعالى ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

«التسبيح» لله تعالى وحده، و«التَّعْزِيرُ والتوقيرُ» لرسول الله ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ (٤/ ١٨٦):

«﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي: على الْخَلْقِ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أي: للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: للكافرين.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال ابنُ عبّاس وغيرُ واحدٍ: تُعَظِّمُوهُ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التَّوْقِير، وهو: الاِحتِرامُ والإجلالُ والإعظامُ[1].

---

(١) نَعَمْ؛ فَقَدْنَا شَخْصَهُ ﷺ فيَجِبُ أن نَحترِمَ سُنَّته، فكأنَّه حاضرٌ بين أيدينا، فنُوَقِّرُ سُنَّته ونُعَظِّمُها، توقيرًا له، وتعزيرًا له ﷺ.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تُسَبِّحُونَ اللهَ بُكرةً وأصيلًا، أي: في أَوَّلِ النهارِ وآخِرِه.

ثُمَّ قال ﷻ لرسوله ﷺ تشريفًا له وتكريمًا وتعظيمًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: هو حاضرٌ معهم، يسمع أقوالَهم، ويَرَى مكانهم، ويعلم ضمائِرَهُم وظواهِرَهُم، فهو تعالى المُبَايَعُ بواسطةِ رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾» اهـ.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: «إنّ هذه الآيةَ التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قال في التوراة: «يا أَيُّها النّبيُّ إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأمِّيين، أنتَ عبدي ورسولي، سَمَّيْتُكَ المتوكِّل، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السيِّئةِ بالسيِّئةَ، ولكن يعفو ويصفح، ولن يَقبِضَهُ اللهُ حتّى يُقيمَ به الملَّة العَوْجاءَ، بأن يقولوا: «لا إله إلا الله»، فيفتح بها أَعْيُنًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلوبًا غُلفًا» » [البخاري التفسير (٤٨٣٨)].

وهذا دليل على مكانة الرسول الكريم مُحمَّد ﷺ عند الله، حيث أشاد بِمكانته وصفاته في التوراة والإنجيل والقرآن.

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾، قال ابن كثير: «عن ابن عبّاس: «كانوا يقولون: (يا مُحمّدُ)؛ (يا أبا القاسم). فنهاهم اللهُ ﷻ عن ذلك إعظامًا لنَبيِّه ﷺ، قال: فقالوا: (يا رسول الله)؛ (يا نَبيّ الله»). وكذا قال مجاهد وسعيد بن جُبَيْر.

وقال قتادة: «أَمَرَ اللهُ أن يُهابَ، وأنْ يُبجَّل، وأن يُعظَّم، وأن يُسَوَّد» ».

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ١-٤].

قال ابن القيّم رحمه الله في «مَدارِجِ السَّالِكِين» (٢/ ٣٨٧ - ٣٩١)[1]:

❑ فصلٌ ❑

وأمّا الأدب مع الرسول ﷺ: فالقرآنُ مَملوءٌ به.

فرأس الأَدَب معه: كمالُ التسليم له، والانقيادُ لأَمْرِه، وتَلَقِّي خَبَرِه بالقَبولِ والتصديقِ، دون أن يُحمِّلَه معارضةَ خيالٍ باطلٍ، يُسَمِّيه معقولا، أو يُحَمِّلَه شُبهةً أو شكًّا، أو يُقدِّمَ عليه آراءَ الرِّجال، وزُبالاتِ أذهانِهم، فيُوَحِّدَه بالتحكيم والتسليمِ والانقياد والإذعانِ، كما وحَّدَ المُرْسِلَ سبحانه وتعالى بالعبادةِ والْخُضوعِ والذُّلِّ والإنابةِ والتَّوكُّلِ.

فهما تَوْحيدانِ لا نَجاةَ للعبدِ من عذابِ اللهِ إلاَّ بهما: توحيدُ المُرْسِلِ، وهو الله ربُّ العالمين، وتوحيدُ متابَعةِ الرسولِ؛ فلا يُحاكم إلى غيرِه، ولا يرضَى بِحُكمِ غيرِه، ولا يَقِفُ تنفيذُ أَمرِهِ وتصديق خبره على عَرْضِهِ على قولِ شيخِه وإمامِه وذوي مذهبِه وطائفتِه ومَن يُعظِّمُه، فإن أذِنُوا له نَفَّذَهُ، وقَبِل خبرَه، وإلَّا فإنْ طلبَ السلامةَ أعرض عن أَمرِهِ وخَبَرِه، وفَوَّضه إليهم، وإلاّ حرَّفه عن

---

(١) أحببتُ أن أسجِّله في هذا البحث بطُولِهِ لنَفاسَتِهِ، ولنَستَفِيدَ وإخوانُنا منه.

مَواضِعِه، وسَّمى تحريفَه: «تأويلا وحملا»، فقال: «نُؤوِّلُهُ ونَحمِلُه»[١].

فَلأَنْ يَلقَى العبدُ ربَّه بكلِّ ذنبٍ على الإطلاق ما خلا الشرك بالله خيرٌ له مِن أن يلقاه بهذه الحال (!).

ولقد خاطَبتُ يوما بعضَ أكابِرِ هؤلاءِ، فقلتُ له:

سألتُك بالله؛ لو قُدِّرَ أن الرسول حيٌّ بين أَظهُرِنا، وقد واجَهَنا بكلامِه وبِخطابِه؛ أكان فَرضًا علينا أن نَتَّبِعَه مِن غيرِ أن نَعرِضَه على رأيِ غيرِه وكلامِه ومذهبِه، أم لا نتَّبِعُه حتّى نعرض ما سَمعناه منه على آراء الناس وعقولهم؟!

فقال: بل كان الفَرْضُ المبادرةَ إلى الاِمتثال من غيرِ اِلْتِفاتٍ إلى سواه.

فقلت: فما الذي نَسَخ هذا الفرضَ عنَّا؟ وبأيِّ شيءٍ نُسِخ؟!

فوَضَع إِصبعَه على فِيهِ، وبَقِيَ باهِتًا مُتَحَيِّرًا، وما نطق بكلمة!

هذا أَدَبُ الخواصِّ معه، لا مخالفةُ أَمرِهِ والشِّركُ به[٢] ورَفعُ الأصوات وإزعاجُ الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم[٣]! وعَزلُ كلامِه عن اليقين وأن يستفاد منه معرفةُ الله، أو يُتلقَى منه أحكامُه، بل الْمُعَوَّلُ في باب معرفةِ الله: على العقول الْمُتَهوِّكَةِ الْمُتحَيِّرةِ المتناقضة! وفي الأحكامِ: على تقليدِ الرجال وآرائها! والقرآنُ والسُّنَّةُ إنّما نقرؤُهُما تبَرُّكًا، لا أنَّا نتلَقَّى منهما أصولَ الدِّين ولا فروعَه، وَمَنْ طَلَب ذلك ورَامَهُ عادَيْناهُ وَسَعَيْنا في قَطعِ دابِرِهِ واستِئصالِ شَأفَتِهِ!

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ

---

(١) وهذا ما يفعله -للأَسَف- كثيرٌ من الفِرَق في كثير من أبواب العقائد، وكذا أبواب التشريع.

(٢) أي: شرك المتابعة.

(٣) وهو فِعلُ الصوفية، الذين يرفعون أصواتهم بالصلاة وهم يرقصون و ... ولكنّ القرآنَ والسنَّةَ في وادٍ، وهم وعقائدهم ومناهجهم في وادٍ آخر (!).

أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ **[المؤمنون: ٦٣ - ٧٤]**(١).

والناصحُ لنفسِه، العامِلُ على نَجاتِها: يتدبَّرُ هذه الآيات حقّ تَدَبُّرِها، ويتأمَّلُها حقَّ تأمُّلِها، ويُنَزِّلُها على الواقع؛ فيرى العجب! ولا يَظُنُّها اختصَّت بقومٍ كانوا فبَانُوا، فالحديثُ لكِ، واسمعي يا جارة! والله المستعان.

ومن الأدب مع الرسول ﷺ: أن لا يَتَقَدَّم بين يدَيْهِ بأمرٍ ولا نَهيٍ ولا إذنٍ ولا تَصرُّفٍ حتّى يأمُرَ هو وينهى ويأذَنَ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ **[الحجرات: ١]**.

وهذا باقٍ إلى يوم القيامة، ولم يُنسَخ، فالتَّقَدُّم بين يَدَيْ سُنَّتِه بعدَ وفاتِه كالتَّقَدُّم بين يَدَيْه في حياته، ولا فَرقَ بينهما عند ذي عقل سليم.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تَفْتاتُوا على رسول الله».

وقال أبو عبيدة: «تقول العربُ: لا تُقدِّم بين يَدَيِ الإمام، وبين يَدَيِ الأب؛ أي: لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه».

---

(١) هذه الآيات في حقِّ الكفَّار، ولأهل الباطل والبدع والأهواء نصيبٌ من هذه الآية، وإن كنَّا لا نكفِّر الفِرَق، لكن -والله- لهم حظٌّ من هذه الآيات! فليتَّقُوا الله في أنفسهم، وليُحَكِّمُوا اللهَ وكتابَه ورسولَه في أمور حياتهم: دينِهم ودنياهم.

وقال غيرُه: «لا تَأمُرُوا حتَّى يَأمُرَ، ولا تَنهَوْا حتَّى ينهى».

ومن الأدب معه ﷺ: أن لا تُرفَع الأصواتُ فوقَ صوتِه، فإنّه سببٌ لِحُبُوطِ الأعمال، فما الظنُّ برَفعِ الآراءِ ونتائجِ الأفكارِ على سُنَّتِهِ وما جاء به؟! أترى ذلك مُوجِبا لقَبُول الأعمال، ورفعُ الصوت فوقَ صوتِه مُوجِبًا لِحُبُوطها؟!

ومن الأدب معه ﷺ: أن لا يُجعل دعاؤُه كدعاءِ غيرِه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، وفيه قولان للمفسِّرين:

أحدُهُما: أنّكم لا تَدْعُونه باسْمِهِ كما يدعو بعضكم بعضا، بل قولوا: يا رسول الله؛ يا نَبِيَّ الله.

فعلى هذا: المصدرُ مضافٌ إلى المفعول، أي: دعاءَكم الرسول(١).

الثاني: أنّ المعنى لا تجعلوا دعاءَه لكم(٢) بِمنْزِلة دعاءِ بعضِكم بعضا، إن شاء أجاب، وإن شاء تَرَك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بُدٌّ من إجابته، ولم يَسَعْكُم التَّخَلُّف عنها ألبتَّةَ.

فعلى هذا: المصدرُ مضافٌ إلى الفاعل، أي: دُعاءَه إيّاكم.

ومن الأدب معه ﷺ: أنّهم إذا كانوا معه على أمر جامعٍ من خُطبةٍ أو جهادٍ أو رِباطٍ لم يَذهَبْ أحدٌ مِنهم مَذهَبا في حاجته حتّى يستأذنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، فإذا كان هذا مَذهَبا مُقيَّدا بحاجةٍ عارضةٍ لم يُوَسَّع لهم فيه إلاّ بإذنه،

(١) أي إذا ناديتموه فلا تجعلوه كنداء بعضكم بعضًا.
(٢) أي حينما يدعوكم ويُناديكم.

فكيف بِمَذهَبٍ مُطلَقٍ في تفاصيل الدِّينِ: أصولِه وفروعِه، دقيقِه وجليلِه؟ هل يُشرَع الذهاب إليه بدون استئذانه؟! ﴿فَسَـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧].

ومن الأدب معه ﷺ: أن لا يُستَشكَل قولُه، بل تُستَشكَلُ الآراءُ لقولِه، ولا يُعارَضُ نصُّه بقياسٍ، بل تُهدَرُ الأَقْيِسَةُ وتُلقَى لنصوصِه، ولا يُحَرَّفُ كلامُه عن حقيقته لخيالٍ يُسمِّيه أصحابُه معقولا! نعم؛ هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يُوقَفُ قَبولُ ما جاء به على موافقةِ أحدٍ، فكلُّ هذا مِن قِلَّة الأدب معه، وهو عَيْنُ الْجُرأَةِ! والعياذ بالله تعالى.

❑ فصلٌ ❑

وأمّا الأدب مع الْخَلْق: فهو معامَلَتُهُم على اختلاف مراتِبِهِم بِما يليق بهم، فلكلِّ مرتبةٍ أَدَبٌ، والمراتبُ فيها أدبٌ خاصٌّ:

فمع الوالدين: أدبٌ خاصٌّ، وللأب منهما: أدبٌ هو أخصُّ به.

ومع العالم: أدبٌ آخر.

ومع السلطان: أدبٌ يليق به.

وله مع الأَقْرانِ أَدَبٌ يليق بهم.

ومع الأجانب أَدَبٌ غيرُ أَدَبِه مع أصحابه وذوي أُنْسِه.

ومع الضَّيفِ أدبٌ غيرُ أَدَبِه مع أهل بيته.

ولكلِّ حالٍ أدبٌ: فللأكل آدابٌ، وللشُّرب آدابٌ، وللركوبِ والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آدابٌ، وللبول آدابٌ، وللكلام آدابٌ، وللسكوت والاستماع آدابٌ.

وأدبُ الْمَرءِ: عنوان سعادته وفلاحه(١).

وقِلَّةُ أَدبِهِ: عُنوانُ شقاوَتِهِ وبَوَارِه.

فما اسْتُجْلِبَ خيرُ الدنيا والآخرة بِمِثلِ الأَدَبِ، ولا اسْتُجلِبَ حِرمانُها بِمثلِ قِلَّةِ الأدب(٢).

فانظر إلى الأدب مع الوالدَيْنِ: كيف نَجَّى صاحبَه من حبس الغار، حين أَطبَقَت عليهم الصخرةُ، والإخلالُ به مع الأمِّ تأويلا وإقبالا على الصلاة كيف امتُحِنَ صاحبُه بِهَدمِ صَوْمَعَتِهِ وضرب الناس له ورميه بالفاحشة.

وتأمَّل أحوالَ كلِّ شقِيٍّ ومُغترٍّ ومُدبِرٍ: كيف تَجِدُ قِلَّة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان»؟.

❑ ومن الواجبات التي افْتَرَضَها اللهُ وأَوجَبَها علينا، ومِن حقوق رسولِ ربِّنا علينا: طاعتُه واتِّباعُه واتِّباعُ ما جاء به من عند الله تعالى.

---

(١) إذا وجدتَ شخصًا مُؤَدَّبًا، فاعلم أنَّ هذا من عنوان سعادته وفلاحه: أدبٌ مع الله تعالى، وأدبٌ مع رسوله ﷺ، وأدبٌ مع الناس، ليس المقصود بالأَدَب المجاملة والنِّفاق، لا؛ بل الأَدَبُ أن يكونَ له خُلُقٌ صحيحٌ يُسَيْطِرُ على قَلبِهِ ومشاعِرِه في الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ وتصديق أخباره ... ومع الناس على أحسن حالٍ من الأخلاق والأدب.

(٢) وقِلَّة الأَدَبِ علامةٌ على الشَّقاء -عياذًا بالله تعالى-، فنُحاوِلُ أن نُهذِّب أنفسَنا، وأن نُربِّيَها على الطاعة لله -سبحانه-، وعلى حُبِّ الله وحُبِّ رسوله ﷺ، واحترام كتابِه -جلّ وعلا-، وعلى احترامِ سُنَّةِ نَبِيِّه ﷺ، واحترام المؤمنين، والتَّخاطُبِ معهم بالأَدَبِ والحكمةِ، والتعاملِ معهم كذلك؛ فالآن تَرَى كثيرًا من شبابِ الساحةِ كيف آدابُهم؟! لأنَّه لا يوجد مُرَبُّون تربيةً إسلاميةً صحيحةً؛ فهم يُرَبُّون على الأحزاب، على الطرق ... لا يُرَبُّون على كتابِ اللهِ وسُنَة الرسول ﷺ وسِيرةِ الأنبياءِ وسِيَرِ الصالحين وأَئِمَّةِ الحديث وغيرهم. فالتربيةُ اختَلَفَت تَمامًا، فلهذا ترى اسْتِهتارًا بالعلماءِ واستِهتارًا بالسُّنَّة ... ومَخازِيَ لا أوَّل لها ولا آخِرَ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فاتِّباع هذا الرسولِ الكريمِ ﷺ يُحقِّقُ أمرَيْنِ عظيمَيْن:

أَوَّلُهما مَحَبَّةُ الله لنا.

وثانيهما: مغفرةُ ذنوبِنا بعَفْوِه عنَّا، ورحمته بنا.

ثُمّ أتبع هذا بقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فطاعةُ اللهِ ورسولِه فيهما السعادة في الدنيا والآخرة، والتَّوَلِّي عن طاعتهما استكبارًا وعِنادًا كفرٌ بالله، يُوجِب غَضَب اللهِ وعداوَتَهُ وعذابَه الأبدي في نارٍ أعدَّها اللهُ للكافرين عياذًا بالله تعالى.

والآيات في وجوبِ طاعةِ رسولِنا الكريمِ ﷺ كثيرةٌ جدًّا، بَلَغَت بضعةً وثلاثين آيةً، كما قال الإمام أحمد رحمه الله منها ما سلف.

ومنها قوله تعالى بعد تحريم الخمر والميسر وأنّ الشيطان إنّما يريد بتَعاطِيهما إلقاءَ العداوةِ والبغضاءِ بين المؤمنين بالله والصَّدَّ عن ذكر الله وعن الصلاة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

ففي هذه الآيةِ أمرٌ بطاعةِ اللهِ ورسولِه والانقيادِ لهما، وتحذيرٌ من مُخالفَتِهما، ووعيدٌ شديدٌ لِمَن يَتَوَلَّى عن طاعَتِهما.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٢].

ففي هذه الآيات ذمٌّ شديدٌ لِمَن لا يطيع اللهَ ورسولَه ويَدَّعِي السمع والطاعة وهو كاذب، وتحذيرٌ شديدٌ مِن مشابَهةِ هذا الصِّنفِ مِن الصُّمِّ البُكْمِ الَّذِين لا يعقلون.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥].

يأمُرُ اللهُ سبحانه في هاتين الآيتين الجامعتين هذه الأُمَّة بالاِستجابةِ لِما يَدعُو إليه الرسولُ الكريمُ ﷺ من الحياة الحقيقية، وإلى ما يُسعِدُها السعادةَ الأبديةَ من العلم النافع والأعمال الصالحة، ومن العقائد الصحيحة، والأخلاق العالية من: الصِّدقِ والبِرِّ والإحسانِ والعدلِ والبُعدِ عن الظُلمِ والفواحشِ والكذبِ والأمورِ التي تُوقِعُ في الفِتَنِ العامَّةِ الْمُهلِكَةِ والْمُوقِعَةِ في الضلالِ والشَّقاءِ في الدنيا والآخرة.

فَيَا وَيْحَ قَومٍ يسمعون مثلَ هذه التوجيهاتِ الرَّبَّانية التي تدعو إلى كلِّ خيرٍ وسعادةٍ وتُحذِّرُ مِن كلِّ شرٍّ ومِن كلِّ أسبابِ الشقاءِ؛ فلا يَفقهون ولا يعملون!

ويَا سعادةَ أقوامٍ يفقهونها ويعملون بها!

اللَّهُمَّ اجعَلنَا منهم بِمَنِّكَ وفَضلِك وكَرَمِك!

❑ **ومن حقوقِ المصطفى ﷺ على أُمَّة الإسلامِ**: الاِحتكامُ إليه في كلِّ أمر يَختَلِفون فيه، من العقائدِ والأخلاقِ والعباداتِ والمعاملاتِ وسائرِ شؤونِ الحياةِ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩][1].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا

---

(١) أقول: لو كانت هذه الفِرَقُ تُحكِّم اللهَ تعالى ورسولَه ﷺ هل يَبقَى الخلافُ؟ لا يبقى أبدًا، ولكن فيهم إعراضٌ عن تَحكيمِ اللهِ ﷻ وعن تحكيمِ رسولِه ﷺ، فنعوذ بالله من هذا البلاء.

يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

يُقسم اللهُ ﷻ بذاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ أنّ الناس لا يُؤمِنونَ حتّى يُحكِّموا رسولَ الله في كلّ ما يَقَع بينهم من الخلافات في كلِّ المجالات، ولا يكتفى بِمُجرَّد التحكيم، بل لا بُدَّ أن لا يُوجَد شيءٌ من الْحَرَجِ في نُفوسِ الْمُتَحاكِمِينَ، وحتّى يَحصُلَ منهم التسليم الكامل، فَيَا وَيْلَ مَن لا يَرضَى الاِحتِكامَ إلى هذا الرسولِ الكريمِ، ولا يَسْتَسْلِم لِحُكمِهِ بنَفْسٍ راضِيَةٍ مُطمَئِنَّةٍ مُنقادَةٍ!

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٨].

بَيَّن اللهُ سبحانه في هاتَيْنِ الآيتَيْنِ أمورًا عظيمةً، منها مِيزاتُ الرسولِ الكريمِ ﷺ، ومِيزاتُ شَريعَتِه التي جاء بها، وسَماحتها للناس جميعًا منذ بَعَثَهُ اللهُ إلى يوم القيامة:

① فانظر إلى مكانةِ الرسولِ ﷺ والإشادةِ به في التوراة والإنجيل.

② وتأمَّل مَزاياهُ ومزايا شريعَتِهِ العظيمةِ والإشادةِ بهما في التوراة والإنجيل:

فمنها: الأمرُ بالمعروفِ الذي يَشمَلُ الدعوةَ إلى التوحيدِ والعقائدِ الصحيحةِ من الإيمان بالنُّبُوَّاتِ والبَعْثِ والجزاءِ والجهادِ في سبيل الله لإِعلاءِ كَلِمَتِه، والأخلاقِ العاليةِ إلى سائرِ ما تتناوله هذه الكلمة الجامعة.

ومنها: النهيُ عن الْمُنكَرِ، ويَشمَلُ النَّهْيَ عن الشِّركِ والبِدَعِ والضَّلالِ والفُسوقِ والعِصيانِ والفَواحِشِ ما ظَهَر منها وما بَطَن.

ومنها: الرحمةُ والسَّماحَةُ في التشريع، والْحِكمَةُ فيه، بوَضْعِ الآصَارِ والأغلال التي كانت على اليهود، وتحليلِ الطَّيِّبات، وتحريمِ الخبائث، مثلَ الْخَمْرِ ولَحمِ الْخِنْزِيرِ والْمَيْسِرِ والْمَيْتَةِ والزِّنا، ويَتبَعُها تحريمُ كلِّ ما يَضُرُّ بالدِّين والعقل والنفس والمال والعِرْض.

ومنها: مدحٌ لِما جاء به بأنَّه هدًى ونورٌ من عند الله.

ومنها: الوَعدُ العظيمُ بالفلاحِ وهو الفَوزُ الأعظمُ لِمَن عَزَّرُوا هذا الرسول الكريم ﷺ ونَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنزِلَ معه.

ومنها: بيانُ عُموم رسالتِه ودَعوَتِه للنَّاسِ جميعًا(١)، أَسوَدِهم وأَحْمَرِهم وأَبيَضِهم؛ دعوتُهم إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِه.

ومنها: أمرُ اللهِ النَّاسَ جميعًا بالإيمان به وبرسوله ﷺ واتِّباعه؛ لعلَّهم يهتدون إلى ما يُرضي ربَّهم ويُسعدُهم.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ

(١) وهناك أدلَّة على شمول رسالته ﷺ للجنِّ.

أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٤٧-٥٤].

ففي هذه الآياتِ بيانٌ لِحالِ المنافقين ومَن في قلوبِهِم مرضٌ: فهُمْ يَدَّعون الإيمان بالله والرسول ﷺ، ولكنّ الأحوالَ الطارئةَ والمناسباتِ الجادَّةَ التي تُبيِّن الغَثَّ من السَّمِين، والصادقِين من الكاذبِين، تَفضَحُ وتَكشِفُ زيفَ دَعاوَاهُم، وتُبيِّنُ كَذِبَهُم ونِفاقَهُم: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ فيُعرضون عن طاعةِ اللهِ ورسولِه ﷺ والاِستجابةِ والاِنقيادِ لِما يَحكُمُ به إذا كانوا يَرَوْن أنَّه عليهم، ويُبادرون إلى الطاعةِ والاستجابةِ إذا كان الحقّ لهم، لا طاعةً ولا إيمانًا ولا حبًّا للحقِّ، ولكنْ لأنَّ الْحُكمَ لصالِحِهِم. وما أكثرَ مَن يَحصُل له هذا مِن ضِعافِ الإيمانِ، فضلًا عن المنافقين، فنعوذ بالله من هذه الحال.

ومنها بيانُ حالِ المؤمنين الصادقين ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أنَّه السَّمعُ والطاعةُ والاِنقيادُ للهِ تعالى ولرسولِه ﷺ، والرِّضَا بذلك، والتسليمُ الكامِلُ، بدون حرجٍ، ولو كان في النَّفسِ أو المالِ أو الولدِ، فجزاؤُهم عند الله أنَّهم هم المفلحون الفائزون بِرِضَى اللهِ وجزائِه العظيمِ، وأنَّهم هُمُ المهتدون، كلُّ ذلك بسببِ إيمانِهم الصادق، وعَمَلِهم الصالحِ، ومنه طاعتُهم للهِ تعالى ولرسولِه ﷺ، والرِّضَى باطنًا وظاهرًا بِحُكمِهِ في أمرِ الدِّين والدنيا.

يقول شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ ﵀ في «المجموع» (٢٧/ ٤٢٥ - ٤٢٦):

«والرسول ﷺ له حقٌّ لا يَشْرَكُه فيه أحدٌ مِن الأُمَّة، مثلُ وجوبُ طاعتِه في كلّ ما يُوجِبُ ويَأمُرُ، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. ولهذا كانت مبايعتُهُ مبايعةً للهِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، فإنّهم عاقَدُوهُ على أن يطيعوه في الجهاد ولا يَفِرُّوا وإن ماتوا؛ وهذه الطاعةُ له هي طاعةٌ للهِ» اهـ.

❑ **مِن حقوقِه** ﷺ مَحَبَّتُه أكثرَ من النفس والمال والولد.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال العلاّمة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «وهذه الآية الكريمة أعظمُ دليلٍ على وجوبِ مَحَبَّة اللهِ ورسولِه، وعلى تقدِيمِهِما على مَحبَّة كلِّ شيءٍ، وعلى الوعيدِ الشديدِ والْمَقْتِ الأكيدِ على مَن كان شيءٌ مِن هذه المذكوراتِ أَحَبَّ إليه من اللهِ ورسولِه وجهادٍ في سبيله، وعلامةُ ذلك أنّه إذا عُرِضَ عليه أَمرَانِ، أَحَدُهُما يُحِبُّه اللهُ ورسولُه، وليس لنَفسِهِ فيه هوى، والآخَرُ تُحِبُّه نَفسُهُ وتشتَهِيهِ، ولكنَّه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا للهِ ورسولِه أو يُنقِصُه، فإنّه إن قدَّم ما تَهواهُ نَفسُه على ما يُحِبُّه اللهُ، دلَّ ذلك على أنّه ظالمٌ تاركٌ لِما يَجِبُ عليه»اهـ.

وعلينا أن يكونَ الرسولُ أحبَّ إلينا مِن أنفُسِنا وآبائِنا وأبنائِنا وأهلِينَا وأموالِنا، كما في الحديث الصحيح عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [رواه البخاري ومسلم]، وفي لفظٍ لمسلمٍ: «**وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ**».

وفي البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ هشامٍ أنّه قالَ: (كُنَّا مع النّبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بِيَدِ عُمرَ بنِ الْخَطَّابِ، فقال له عُمرُ: يا رسولَ اللهِ؛ لأَنْتَ أحبُّ إِلَيَّ مِن كلِّ شيءٍ إلاّ مِن نفسي! فقال النّبيُّ ﷺ: «**لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ**

نَفْسِكَ!». فقال له عمرُ: فإنَّك الآنَ واللهِ لأَنتَ أَحَبُّ إِلَيَّ من نفسي! فقال النّبيُّ ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَرُ!**»).

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنّه قال: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ**».

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله: «وذلك أنّه لا نَجاةَ لأَحَدٍ مِن عذابِ اللهِ، ولا وُصولَ له إلى رحمةِ اللهِ، إلاّ بواسطةِ الرسولِ ﷺ؛ بالإيمانِ به ومَحَبَّتِه ومُوالاتِه واتّباعِه. وهو الذي يُنجِيه اللهُ به مِن عذابِ الدنيا والآخرةِ. وهو الَّذي يُوصِلُه إلى خيرِ الدنيا والآخرة. فأعظَمُ النِّعَم وأَنفَعُها نِعمةُ الإيمانِ، ولا تَحصُلُ إلاّ به ﷺ، وهو أَنصَحُ وأَنفَعُ لكلِّ أحدٍ مِن نَفسِه ومالِهِ. فإنّه الذي يُخرِجُ اللهُ به مِن الظلماتِ إلى النورِ، لا طريقَ له إلاّ هو، وأمّا نفسُه وأهلُه فلا يُغْنُون عنه من الله شيئًا»اهـ[١].

❑ **ومن حقوقه** ﷺ على أُمَّتِهِ أن يُصلُّوا ويُسلِّمُوا عليه، كما أمرهم الله بذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال البخاري رحمه الله: «قال أبو العالية: «صلاةُ اللهِ: ثَناؤُهُ عليه عند الملائكةِ، وصلاةُ الملائكةِ: الدعاءُ»، وقال ابن عبّاس: «يُصَلُّون: يُبَرِّكُون» »[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «والمقصود من هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى أَخبَرَ عبادَه بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ ونَبِيِّه عِندَه في الملإِ الأعلى، بأنّه يُثني عليه عندَ الملائكةِ الْمُقَرَّبين، وأنّ الملائكةَ تُصلِّي عليه، ثُمَّ أَمَر تعالى أهلَ العالَمِ السُّفلِي بالصلاةِ والتسليمِ عليه، ليَجتَمِعَ الثناءُ عليه مِن أَهلِ العَالَمَيْنِ: العُلْوِي والسُّفلِي»؟!.

---

(١) المجموع (٢٧/ ٤٢٦).

(٢) وهو عائدٌ إلى المعنى الأوَّل (الدعاء).

كيفيةُ الصلاةِ
التي عَلَّمَنا رسولُ الله أن يُصَلَّى عليه بها

روى البخاري عن الصحابي الجليل كَعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله؛ أمّا السلامُ عليك فقد عَرَفناه، فكيف الصلاةُ عليك؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدْ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» [الصحيح، حديث (٤٧٩٧)].

وعن أبي سعيد قال: (قلنا: يا رسولَ الله؛ هذا التَّسلِيمُ، فكيفَ يُصَلَّى عليكَ؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**»، قال أبو صالح عن اللَّيْث: «عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ».

حدثنا إبراهيمُ بنُ حَمزةَ حدّثنا ابنُ أبي حازمٍ والدرَاوَرْدِي عن يزيد وقال: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ» [الصحيح، حديث (٤٧٩٨)].

وعن أبي حُمَيدٍ الساعِدِي أنّهم قالوا: يا رسول الله؛ كيف نُصَلِّي عليك؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» [البخاري: الأنبياء (٣٣٦٩)، ومسلم: الصلاة (٤٠٧)، وأحمد (٥/ ٤٢٤)].

وعن أبي مسعود الأنصاري أنّه قال: أتانا رسولُ اللهِ ﷺ ونحنُ في مَجلِسِ سَعدِ بنِ عُبادةَ، فقال له بَشِيرُ بن سَعد: أَمَرَنا اللهُ أن نُصَلِّي عليكَ يَا رَسُولَ الله؛

فكيفَ نُصَلِّي عليك؟ قال: فسَكَتَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتَّى تَمَنَّيْنَا أنّه لَم يَسأَلهُ، ثُمّ قال رسول الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ. وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَالسَّلاَمُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**» [مسلم: الصلاة (٤٠٥)، ورواه أبو داود: الصلاة (٩٨٠)، ورواه الترمذي والنسائي والشافعي في «مسنده»].

❀ ❀ ❀

حكمُ الصلاةِ على النّبيّ ﷺ

هي مشروعةٌ في مواطنَ كثيرةٍ، وتَجِبُ الصلاةُ على النّبيِّ ﷺ في التَّشَهُّدِ الأخيرِ على الراجح من الأقوال.

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في «تفسيره» بعدَ ذِكرِ هذه الأحاديث (٧/ ٤٦٠): «ومِن ههنا ذهبَ الشافعي رحمه الله إلى أنّه يَجِبُ على الْمُصلِّي أن يُصلِّيَ على رسولِ الله في التَّشَهُّدِ الأخيرِ، فإن تَرَكَه لَمْ تَصِحَّ صلاتُه.

وقد شَرَع بعضُ المتأخِّرِينَ من المالكية وغيرِهم يُشَنِّعُ على الإمام الشافعي في اشتراطِه ذلك في الصلاة، ويَزعُمُ أنّه قد تفرَّد بذلك[1].

وحكى الإجماعَ على خلافِه[2] أبو جَعفَرُ الطبري والطحاوي والخطّابي وغيرُهم فيما نَقَلَهُ القاضي عِياض، وقد تَعَسَّف القائل في ردِّه على الشافعي، وتَكَلَّف في دعواه الإجماعَ في ذلك، وقال ما لم يُحِط به علما؛ فإنّه قد رُوِّينا

(١) لأنَّهم لا يَرَوْن وجوب الصلاة عليه ﷺ في التشهُّد.
(٢) أي على خلاف قول الشافعي رحمه الله.

وجوبَ ذلك والأمرَ بالصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة كما هو ظاهرُ الآيةِ ومُفَسَّرٌ بهذا الحديث عن جماعةٍ من الصحابةِ، منهم: ابنُ مسعود وأبو مسعود البدري وجابرُ بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان، وإليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك، ولا بين الصحابة أيضًا، وإليه ذهب الإمامُ أحمدُ أخيرًا، فيما حكاه عنه أبو زُرعة الدمشقي، وبه قال إسحاقُ بنُ راهويه والفقيهُ الإمامُ محمدُ بنُ إبراهيمَ المعروفُ بابنِ الْمَوَّازِ المالكي . . .

والغَرَضُ أنّ الشافعي رحمه الله لقوله بوجوب الصلاة على النّبيّ ﷺ في الصلاة سَلَفٌ وخَلَفٌ، كما تقدّم، ولله الحمد والْمِنَّة، فلا إجماع على خلافه في هذه المسألة، لا حديثًا ولا قديمًا، والله أعلم»اهـ[(١)].

ثمُّ ذَكَر ابنُ كثيرٍ أحاديثَ تُؤيِّد القولَ بِوُجوبِ الصلاةِ على النّبيِّ ﷺ في التَّشهُّد الأخير، وتُستَحَبُّ في التشهُّدِ الأوَّلِ، وفي ذلك اختلاف بين العلماء.

وهناك مواطنُ يُشرَعُ فيها الصلاةُ على النّبيِّ ﷺ، ذَكَرَها الإمامُ ابنُ القَيِّم في كتابه: «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام».

منها:

١- آخِرُ القُنوت.

٢- الصلاةُ على الجنازة.

٣- في الْخُطَب، كخُطبَةِ الْجُمُعةِ والعيدَيْنِ.

---

(١) وابن القيِّم رحمه الله ادَّعى الإجماعَ في كتابه «جلاء الأفهام» على وجوبِ الصلاةِ عليه ﷺ في التشهُّد، ولا خلاف بين الصحابة في ذلك؛ والحقُّ والراجح ما قاله الشافعي مِن وُجوبِ الصلاةِ على النّبيِّ ﷺ في التشهُّد الأخير، وهو مِمّا يكاد أن يكون إجماعًا.

٤- بعد إجابةِ الْمُؤَذِّن وعند الإقامة.

٥- عند الدعاء.

٦- عند دخولِ المسجدِ والخروجِ منه.

٧- عند اجتماعِ القوم قبل تَفَرُّقِهِم.

٨- عند ذِكرِهِ ﷺ، واختُلِفَ في وُجوبِها.

٩- عند الفراغِ من التَّلبِيَةِ.

١٠- عند القِيام من الْمَجلِسِ.

١١- عند كتابةِ اسْمِه ﷺ.

١٢- عند خطبةِ الرجلِ المرأةَ في النكاح.

وذَكَر أشياءَ، منها ما لا يَثبُتُ فيها دليلٌ، وقد تَبَيَّن ضَعفُ بَعضِها.

هذه بعضُ حقوقِه علينا ﷺ، مِن حُبِّه وتعظيمِه وطاعتِه ومعرفةِ مَنْزِلتِه عند الله سبحانه، لكن هذا لا يدفعنا إلى الغلوِّ فيه؛ فنَصِفُهُ بصفاتِ اللهِ تعالى الله، أو أن نُشرِكَه مع الله سبحانه في الدعاء، وما شاكَلَ ذلك، فإنَّ هذا هَدمٌ لرسالته ﷺ، وخروجٌ عن منهجِه، ومُخالفةٌ له، وإهانةٌ لِمَنْزِلتِه ﷺ، لأنَّك تُخالِفُهُ بذلك، وتَعصِيهِ، فادِّعاءُ أنَّه ﷺ يَعلَمُ الغَيْبَ ويَتَصرَّفُ في الكَوْنِ ويُوزِّع الجنَّة . . . هذه كلُّها أكاذيب، ليس لها أصلٌ لا في الكتاب ولا في السُّنَّة، فنحنُ نُؤمِنُ بالكتاب والسنَّة وما تَضمَّناه من عقائدَ وعباداتٍ وتعظيمِ الرسول ﷺ ووجوبِ طاعتِه ومَحبَّتِه ومُوالاتِهِ، ولا نَخرُجُ قِيدَ شِبرٍ عن هذه التعاليمِ، بل قِيدَ أُنْمُلةٍ! وإذا كان الرسولُ ﷺ يُحارِبُ الغُلُوَّ، فعلينا أن نُحارِبَهُ تأسِّيًا به، واقتداءً به ﷺ، ويَحسُنُ أن أَذكُرَ هاهنا:

حمايتُه ﷺ لِجَنابِ التوحيدِ ومُحارَبَتُه لِلْغُلُوِّ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

وقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**» [رواه النسائي وابن ماجه، وهو صحيح].

وقال ﷺ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» [البخاري (٣٤٤٥)].

وعن مُطَرِّفِ بنِ عبدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ قال: قال أبي: اِنطَلَقتُ في وَفْدِ بنِي عامرٍ إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنتَ سَيِّدُنا. فقال: «**السَّيِّدُ اللهُ!**» فقُلنا: وأَفضَلُنا فَضلًا، وأَعظَمُنا طَوْلًا. فقال: «**قُولُوا قَوْلَكُمْ أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ!**» [رواه أحمد وأبو داود وغيرُهما، وهو صحيح](١).

(١) فهذا كلامٌ حقٌّ، فهو سَيِّدُهُم وابنُ سَيِّدِهم، لكن خاف ﷺ أنَّه إذا اندَفَعَ النَّاسُ في هذا المجالِ أَنْ يَصِلُوا إلى ما وَصَلَ إليه بنو إسرائيل مِن الْغُلُوِّ في بعضِ أنبيائهم، كما غَلَتِ اليهودُ في عُزَيْرٍ ﷺ، وكما غَلَتِ النصارى في عيسى ﷺ؛ فزَجَرَهُم ﷺ وإن كان كلامُهُم حقًّا، لكن يَترَتَّبُ عليه ما يَترَتَّبُ من المفاسد. =

❑ **ومن حقوقه ﷺ على الأُمَّة الإسلامية:**

احترامُ أصحابه وأهلِ بَيتِهِ وزوجاتِه ﵃، ومُوالاتُهُم، وبيانُ فضائِلِهِم ومزاياهُمُ العظيمةِ، والذَّبُ عن أَعراضِهِم، وبيانُ مكانتِهِم عند الله وعند رسوله ﷺ وخِيارِ هذه الأُمَّةِ.

قال الله تعالى في شأنهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

= فالغلوُّ في الأنبياءِ وغيرِهم، أو في العبادة أو غير ذلك، فيه إخلالٌ بالتوحيد في الربوبية والألوهية -الذي هو أعظمُ حقوقُ ربِّ العالمين.

ومِن هُنا تجد أنَّ الله -تعالى- يُحذِّر من الغُلوِّ، ورسولُ الله ﷺ يُحذِّر منه، ويُبيِّن أنَّ فيه الهلاكَ، والمؤمنُ العاقلُ يَضَعُ كُلَّ شيءٍ في موضعه، ويُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، من غَيرِ إطراءٍ ولا جَفاءٍ على شريعة وَسَطٍ؛ فيُعطي اللهَ حقَّه، ويُعطي الأنبياءَ حقَّهم، والملائكةَ حقَّهم، والصالحين حقَّهم، والمؤمنين حقَّهم، والوالدَيْنِ حقَّهم . . . بدون إفراط ولا تفريط.

وعن أبي سعيدٍ الْخُدري رضي الله عنه قال: قال النّبيُّ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي! فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**» [رواه البخاري (٣٤٧٠)].

وقد أُلِّفَتِ الكتبُ في بيانِ فضائِلِهم ومزاياهم، وأَشادَ بِهِمُ العلماءُ في كُتُب العقائدِ، ومِن ذلك قولُ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ رحمه الله في «العقيدة الواسطية» (ص٤٣-٤٥): «ويَتَبَرَّؤون من طريقةِ الروافض الَّذِين يُبغِضُون أهلَ البيت، بقولٍ أو عملٍ، ويُمسِكُون عَمّا شَجَر من الصحابة، ويقولون إنّ هذه الآثارَ الْمَروِيَّةَ في مساوئهم منها ما هو كَذِبٌ، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونقص، وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هُم فيه مَعذُورُون، إمّا مُجتهدون مصيبون، وإمّا مُجتهدون مُخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أنّ كلّ واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم مِن السوابِقِ والفضائِلِ ما يُوجِبُ مغفرةَ ما يَصدُرُ عنهم إِن صَدَر، حتَّى إنّهم يُغفَرُ لهم من السيِّئاتِ ما لا يُغفَرُ لِمَن بَعدَهُم، لأنّ لهم مِن الحسنات التي تَمحُو السيِّئات مِمَّا ليس لِمَن بعدَهم.

وقد ثَبَت بقولِ رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُم خَيْرُ القرونِ، وأَنَّ الْمُدَّ من أَحَدِهِم إذا تَصَدَّق به كان أَفضَلَ مِن جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعدَهم. ثُمّ إذا كان قد صَدَر مِن أَحَدِهِم ذَنبٌ فيكون قد تاب منه، أو أتى بِحسناتٍ تَمحُوهُ، أو غُفِرَ له بفَضلِ سابِقَتِهِ أو بِشفاعةِ مُحمَّدٍ ﷺ، الذي هُم أحقُّ الناسِ بشفاعَتِهِ، أو ابْتُلِيَ ببلاءِ الدنيا، كُفِّرَ به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب الْمُحَقَّقَةِ، فكيف الأمورُ التي كانوا فيها مُجتهِدِين، إن أصابوا فلَهُمْ أَجرانِ، وإن أَخطَأُوا فَلَهُم أَجرٌ واحدٌ، والخطأُ مَغفُورٌ؟!

ثُمّ القَدْرُ الذي يُنكَرُ مِن فِعلِ بعضِهم قليل نزر مَغفورٌ في جَنبِ فضائلِ القومِ ومَحاسِنِهِم من الإيمان باللهِ ورسولِه والجهادِ في سبيله والهجرةِ والنُّصرةِ والعلمِ النافعِ والعملِ الصالح.

ومن نظر في سيرةِ القَومِ بعِلْمٍ وبَصيرَةٍ وما مَنَّ اللهُ عليهم به منَ الفضائلِ؛ عَلِمَ يَقينًا أَنَّهُم خيرُ الخَلْقِ بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلُهم، وأنّهم الصَّفوَةُ من قُرونِ هذه الأُمّة التي هي خَيْرُ الأُمَمِ وأكرَمِهَا على الله» ا؟ كلامه رحمه الله تعالى.

أسأل اللهَ تبارك وتعالى أن يَرزُقَنا احترامَ هذا الرسولِ الكريم ﷺ، ومَحبَّتَه واتِّباعَه، وأن يُثبِّتَنا على ذلك، وأن يُوفِّقَ الأمَّةَ الإسلاميةَ جميعًا أن تَجتَمِعَ على كلمةِ الحقِّ، على كتابِ ربِّها سبحانه، وعلى سُنَّة نَبيِّها ﷺ، وأن يُعِزَّها اللهُ ويُكرِمَها بهذا الدِّينِ الحقِّ، الذي أعزَّ اللهُ به مُحمَّدًا ﷺ وأصحابَه، وأَظهَرَهُمُ اللهُ على مِلَلِ الكُفْرِ كلِّها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

نَسألُ اللهَ أن يُوفِّقَهُم، وأن يُهيِّىءَ لهم دُعاةً مُخلِصِينَ، لا يريدون بدعوتِهم إلاّ وجهَ الله تعالى، ولا يريدون إلاّ نفعَ المسلمين، وإنقاذَهُم مِمَّا هُم فيه من الضياعِ والذُّلِّ والْهَوَانِ.

وَوَاللهِ! ثمَّ واللهِ! لا نَجاةَ لهم مِن دَوَّامةِ الذُّلِّ إلاَّ أن يَعُودُوا إلى كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ في عقائِدِهِم وعباداتِهِم وسائرِ شؤونِ حياتِهِم.

والله أَعلَم، وصلَّى اللهُ على نَبِيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه:

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

مكّة ٢٠/ ٢/ ١٤٢٥هـ

الذبُّ
عن رسالة محمّد ﷺ

للشيخ

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِه وصحبِه ومن اتَّبع هُداه.

أمّا بعد:

فقد اطَّلَعتُ على تصريحٍ نَشَرَته جريدةُ (المدينةِ) (العدد: **١٥٦٤٠**) في مُلحَقِها المسمّى؟ (الرسالة) في يوم الجمعة ١٨/ مُحرّم/ **١٤٢٧** هـ، الموافق **١٧**/ فبراير/ **٢٠٠٦**م.

للمُفكِّر الدكتور أحمد كمال أبو المجد، نائب رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان، تحت عنوان «**احترامُ الأديان ضرورةٌ، وعلى العرب التخلُّص من معاداة الإسلام**».

ومِمّا قاله في هذا التصريح:

❑ أوّلًا: قوله: «**بضرورةِ فتح مَجالاتٍ مُختلفةٍ وحديثةٍ للحوار بين الإسلام والديانات الأخرى، من خلال الْمُفَكِّرين والعلماء والباحثين، من أجلِ التقاربِ وحلِّ المشكلات والاختلافات**».

نسأل نائب رئيس المجلس القومي:

١- ما هي المجالات المختَلِفة التي تدعو إلى فَتحِها؟ وما المرادُ بقولِكَ: «حديثة»؟ وهل نصوصُ القرآن والسُّنَّة تَدخُل في هذه المجالات الحديثة؟

٢- وما هي القواعد والأصول والضوابط التي يَتَحَتَّمُ الرجوع إليها في القضايا الكبرى التي يختلفُ فيها أهلُ الدياناتِ وتدورُ حواراتُهم حولها؟

٣- ما هو التقارب الذي تدعو إليه؟ بيّنه لنا!

لِيُدرِكَ المسلمون: هل الإسلام، كِتابًا وسنةً وإجماعًا، يُسلِّم به ويُقِرُّه، أو يرفضه، لأنّه باطل ولا يكون إلاّ كذلك؟ لأنّه لا يُمكِن إلاّ بالتنازل عن نصوصٍ لا تُحصَى من الكتاب والسنة وعن أصول من الضروري في الإسلام التَّمَسُّكُ بها والثبات عليها.

❑ ثانيًا: قوله: «**إنّ الحوارَ يَفتَحُ الطريقَ أمامَ أهلِ الدياناتِ السماويةِ في العالَمِ للتعاونِ والحوارِ الهادئِ البَنَّاءِ مِن خلالِ أَنشِطةٍ مُختَلِفةٍ ومُشتَرَكةٍ لِمُقارَبةِ الأخطارِ التي تَتعَرَّضُ لها الإنسانيةُ، ومُواجهةِ العُنفِ والإرهابِ ومشاكلِ ازدِراءِ الأديانِ**».

أقول: إنّ المسلمين يُؤمنونَ بكلِّ الأنبياءِ، وكلِّ الكُتُبِ التي أُنزلت عليهم من السماء، وذلك من أركان دِينِهِم التِي مَن أَخَلَّ بواحدٍ منها لا يكون مؤمنًا أبدًا، ومِن هذه الكُتبِ «التوراةُ» التي أَنزَلَها اللهُ على موسى، و«الإنجيلُ» الذي أَنزَلَهُ اللهُ على عيسى عليهما الصلاة والسلام، ونحن نسألُ الدكتورَ أحمدَ كمال:

١- هلِ اليهودُ يُؤمِنُون بِمُحمّدٍ وعيسى عليهما الصلاة والسلام، و«بالقرآنِ» الْمُنَزَّلِ على مُحمَّدٍ ﷺ، و«بالإنجيلِ» الْمُنَزَّل على عيسى ﷺ؟ أو هم كافرون جاحدون بِمُحمَّدٍ وبِما أُنزِل عليه؟

ما أَخالُ الدكتورَ ومَن يَسيرُ على دَرْبِهِ إلاّ أنّهم سيعترفون بأنّ كلاًّ مِن اليهودِ والنصارى قد كَفَرُوا بِمُحمَّدٍ ورسالتِه السماويةِ، وأنّ اليهود قد كَفَرُوا بعِيَسى ورسالتِه السماوية.

وإذا كان هذا هو واقعُ أتباعِ الديانات؛ فما هو الْمَرجِعُ الذي يَرجِعُون إليه في حلِّ الخلافاتِ العقائديةِ التي هي أساسُ كلِّ الخلافاتِ والعداواتِ والحروب؟ وما هو الْمَرجِعُ أيضًا في سائرِ الخلافاتِ من سياسيةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ . . . إلخ؟.

٢- هل يَعرِفُ الدكتورُ، أو يَعتَرِف، بأنّ كلاًّ من اليهودِ والنصارى قد كَفَرُوا بِما في التوراةِ والإنجيلِ مِن توحيدِ اللهِ وإخلاصِ الدينِ له، وتَنْزِيهِهِ عن الشُّرَكاءِ والأندادِ، فجعلوا للهِ أبناءَ وأندادًا وشركاء؟

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣٢].

٣- وهل يَعتَرِفُ بأنّ اليهودَ والنصارى قد كَفَرُوا كذلك بِما في الكتابَيْنِ مِن وُجوبِ الإيمانِ بِمُحمَّدٍ ﷺ ورِسالتِهِ ووجوبِ اتِّباعِهِ، بل تَعَدَّوْا ذلك إلى الطَّعنِ فيه، وتشوِيهِهِ والطَّعنِ في رسالتِهِ، وشَنِّ الحروبِ على أتباعِهِ، حَسدًا منهم وعداوةً وبُغضًا؟

٤- هل يَعتَرِفُ الدكتورُ بِما جاء في القرآن والسُّنّة من تحريفِ اليهودِ والنصارى للتوراةِ والإنجيلِ، والتلاعُبِ بكثيرٍ من نصوصهما في التوحيد وغيره؟

٥- وهل يَعرِفُ ما سَجَّلَه عليهم علماءُ الإسلامِ مِن كُفرٍ وشِركٍ وتَحريفٍ في دواوينَ معروفةٍ؟ بل بعضُ علماءِ النصارى يُدِينُونَهُم بالتحريف!

وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل يَصِحُّ شرعًا وعقلًا قولُهُ عن اليهود والنصارى إنّهم مِن أهلِ الديانات السماوية؟ أي: أنّهم على دينٍ سَماوِيٍّ يَقِفُ مع الإسلامِ المحفوظِ كتابُه الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يدَيْهِ ولا مِن خَلفِهِ، وبيانُه السُّنَّة من التحريفِ والتبديلِ.

❑ ثالثًا: قال الدكتورُ أحمدُ خلالَ استقبالِه لوَفْدِ مَجلِسِ الشيوخِ الأسباني: «**إنّ الاحتِرامَ بين الديانات ومُقَدَّساتِها ضرورةٌ مُلِحَّةٌ، وضَمانٌ لِحُقوقِ الأَقَلِّياتِ الدِّينِيَّةِ، وحُرِّيَةِ الاعتقادِ، ومُمارَسةِ الشعائرِ الدِّينِيَّةِ، والتَّخَلُّصِ مِن ظاهرةِ مُعاداةِ الإسلامِ والتَّهَجُّمِ على شَخصِ الرسولِ والمسلمين الْمُقِيمِينَ في أوربا**».

أقـول:

لا أدري عن هذا الْوَفْدِ الأسباني هل جاء لمقابلةِ الدكتورِ وَحدَهُ أو قَصَدَهُ بالزيارةِ مع آخَرين يَحمِلُونَ اتِّجاه الدكتورِ؟! ولا ندري عن أهدافِ هذا الوَفْدِ؟! وكيف كان يَدُور الحوارُ بينهم؟ إن كان هناك حوار!

وما أظنُّ أنّ الدكتورَ حاول إقناعَ هذا الوفدِ بالإسلام! لأنّ لهم دينًا سماويًا ومُقدَّساتٍ يَجِبُ احترامُها، كما صَرَّحَ بضرورةِ احترامِها.

ونَطلُبُ من الدكتورِ أن يُبيِّنَ لنا بالتفصيل هذه الْمُقَدَّساتِ في هاتَيْنِ الديانَتَيْنِ التي مِن الضروري احترامُها، وما هو نَوْعُ هذا الاحتِرامِ الذي يَجِبُ على المسلمين تُجاه هذه الْمُقَدَّساتِ؟ ولعلّ منها: الصُّلْبانُ والصُّوَرُ والقُبُورُ الْمَعبُودَةُ.

ونسأل الدكتورَ:

ما هي الطُّرُقُ التِي تُخَلِّص اليهودُ والنصارى مِن ظاهرةِ معاداةِ الإسلامِ؟

ألا يَعلَمُ أنّه لا يُمكِنُهُم التَّخَلُّصُ مِن هذا الداءِ الْمُهلِكِ إلاّ أن يَترُكُوا ديانَتَهُم الْمُحَرَّفة... إلخ، ويَعتَنِقُوا الإسلامَ دِينَ اللهِ الحقَّ؟

ألا يَعلَمُ الدكتورُ أنَّ اللهَ قال عن اليهود: ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، وقال عن النصارى:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

فمَنْ هذا حالُهُم فيما بينَهُم؛ كيف يَتَخَلَّصُون من مُعاداةِ الإسلامِ، ويُصبِحُون من الْمُحِبِّين للإسلام وأهله؟!

لقد سَرَدَ لنا الدكتورُ في هذا التصريحِ الْمُوجَزِ عددًا من العباراتِ التي يُطلِقُها كثيرٌ من الْمُفَكِّرِين الذين يَدْعُونَ أهلَ الدياناتِ إلى وحدَةِ الأديانِ، أَلَا وَهِي:

١- الحوارُ بين الأديان.

٢- التقارب بين الأديان.

٣- الديانات السماوية.

٤- الديانات ومقدساتها.

٥- حُرِّيَة الاعتقاد.

ولهم عباراتٌ أخرى لم يَذكُرْها الدكتورُ.

ولا أدري هل هو مِمَّن يقولُ بوحدَةِ الأديانِ، أو هو مِمَّن يُحارِبُها؟!، ولكنَّ التقليدَ والجهلَ بِما يَرمِي إليه دعاةُ وحدَةِ الأديانِ مِن إطلاقِ هذه العباراتِ دَفَعَه إلى سَرْدِها خلالَ هذا التصريح.

وأخيرًا:

أرى أنّ لي الحقَّ أن أَذُبَّ عن رسالةِ مُحمَّدٍ ﷺ، بل أَرَى من الضروري الذَّبَّ عنها، وأنّ ذلك من واجبِي وواجبِ المسلمين جميعًا.

فكما هَبَّ الكثيرُ من المسلمين للذَّبِّ عن رسولِ الله ﷺ، يَجبُ عليهم أن

يَذبُّوا عن رسالتِهِ، ولا يَجوزُ لهم السكوتُ عن تشويهِ هذه الرسالةِ العظيمةِ وتَحقِيرِها بالتسوية بينَها وبينَ الدياناتِ الوَثَنِيَّةِ أو الديانات الْمُحَرَّفةِ الْمُبَدَّلَةِ التي استَحالَ فيها التوحيدُ إلى الشِّرْك والكفرِ، واتّخاذِ البَشَرِ والأخشابِ والصُّوَرِ أندادًا لله.

وتَحَوَّلَتِ الْمُحَرَّماتُ فيها إلى الْحَلالِ وَالعَذْبِ الزُّلالِ، بالإضافة إلى ما فيها مِن كُفرٍ وتَكذيبٍ لِمُحمَّدٍ ﷺ ولرسالتِه، إلى ضلالاتٍ وأعمالٍ تُنَزَّهُ عنها رسالةُ مُحمَّدٍ ﷺ وجميعُ الرسالاتِ.

فهل يَجوزُ المساواةِ بينَ الظلماتِ والنُّورِ؟! وبينَ الإيمانِ والكفرِ؟! وبين التوحيدِ والشِّرْك؟!

اللَّهُمَّ إنّنا نَبْرَأُ إليك مِمَّا يدورُ في الساحةِ وفي بعضِ الصُّحُف ووَسائِلِ الإعلامِ الأخرى مِن هذا اللَّوْنِ مِن الفِكْرِ الْمُدَمِّر، والْمُدَنْدِنِ حولَ وحدَةِ الأديانِ تحتَ سِتارِ الدفاعِ عن الرسولِ الكريمِ ﷺ وباسمِ الإسلامِ.

اللَّهُمّ انْصُرْ دِينَكَ، وَاحْمِهِ وأَظْهِرْهُ على الدِّينِ كُلِّه، وانْتَصِرْ لِرَسُولِكَ انتصارًا ظاهرًا مُؤَزَّرًا، يا قَوِيُّ يا عَزِيزُ!

وكتبه:

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

في ١٩/ مُحرَّم/ ١٤٢٧هـ

الــذبُّ

عن رسالة محمّد ﷺ

الحلقة الثانية: حرية الرأي

للشيخ

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومَنِ اتَّبَعَ هُداه، أمَّا بعدُ:

فقد كَثُرَ الكلامُ عِن حوارِ الأديانِ، وعن حُرِّيةِ التعبيرِ، وحُرِّيةِ التَّدَيُّنِ في الصُّحُفِ والمواقعِ الفضائيةِ، وفى المجالسِ الخاصَّةِ والعامَّة.

وإذا بَحَثَ الْمُسلِمُ عن مَنشَإِ هذه الآراءِ فلا يَجِدُهُ إلاَّ مِن أعداءِ الإسلامِ الْمُتَحَلِّلين من الْقِيَمِ والعقائدِ السماويةِ والأخلاقِ الرفيعةِ، ولا يَجِدُ له على الأَوجُهِ التي يريدونَها أيَّ سَنَدٍ مِنَ القرآنِ والسُّنَّة؛ إلاّ ما يُلَبِّسُ به بعضُ هُواةِ هذهِ الْحُرِّياتِ الَّذِين لا يُفَرِّقُون بين ما شَرَعَهُ اللهُ وما مَنَعَهُ من الأقوالِ والأعمالِ، ولا بينَ الْحقِّ والباطلِ، ولا بين الْهُدَى والضلال.

وأنا هنا لا أُخاطِبُ أعداءَ الإسلام؛ وإنَّما أخاطب مَن رَضِيَ بالله ربًّا ومُشَرِّعًا، ورَضِيَ بالإسلامِ دينًا، وبِمُحمَّدٍ رسولًا، أو مَن يَدَّعي ذلك.

فأقـول:

١- إنّ الْحُرِّيَّةَ الصحيحةَ إنّما هي في الإسلامِ، دينِ اللهِ الحقِّ الذي جاء لإخراجِ النّاس مِنَ الظلماتِ إلى النُّور؛ مِن ظلماتِ الْجَهلِ والكُفرِ والشِّركِ والرَّذائِلِ الأخلاقيةِ إلى نُورِ الإسلامِ الذي حَوَى التوحيدَ: إفرادَ اللهِ الخالقِ الرازقِ الْمُحيي الْمُمِيتِ الذي له صفاتُ الكمالِ ونُعوتُ الْجَلالِ إفرادَه وَحدَهُ بالعبادةِ والتَّوَجُّهِ إليه بالْمَطالِبِ كُلِّها، واللجوءَ إليه وَحدَهُ عند الشدائدِ والكُرُوبِ؛ والكُفرَ بالطواغيت التي اتّخَذَها ضُلاَّل النّاس آلهةً وأندادًا لله، يَعبُدُونَها ويَخضَعُون ويَخشَعُون لها، مِن البَشَرِ ومن الأَحجارِ والأشجارِ

والحيواناتِ وغيرِها من المخلوقاتِ، سواءً الأحياء منهم والأموات.

فهذه هي الْحُرِّيَّة الصحيحةُ، وهذا هو التَّحرِيرُ الصحيحُ؛ أَن يَتَحَرَّرَ الإنسانُ الذي كَرَّمَهُ اللهُ من العبوديةِ لكلِّ ما سِوَى اللهِ.

فهل مَنْ شَرَع للناسِ هذه الْحُرِّيَّاتِ، ويُنادُونَ بها ارتَفَعُوا بالناسِ إلى هذا المستوى الرفيعِ الذي يَلِيقُ بكرامةِ الإنسان؟

الجـواب:

لا، وكلَّا! إنَّهم يريدون أن يَبقَى الناسُ يرسفون في أغلالِ هذه العُبودِيَّاتِ الْمُذِلَّةِ، يَعبُدُ كلُّ إنسانٍ ما يُرِيدُ ويَتَدَيَّن بِما يَهواهُ، مِن الأديانِ الباطلةِ التي بُعِثَ الرُّسُلُ كُلُّهُم لإِبطالِها وهَدمِها وتطهيرِ الأرضِ وتحريرِ العِبادِ والعقولِ والعقائدِ والأخلاقِ منها.

ولن يَتَحَرَّرَ الناسُ شعوبًا وحكوماتٍ إلاّ باتِّباع دينِ اللهِ وتَشريعاتِهِ العادِلةِ الحكيمةِ، التي تَحفَظُ للناسِ دِينَهُمُ الذي شَرَعَهُ اللهُ، وتَحفَظُ لهم عُقولَهُم وكرامَتَهُم وأعراضَهُم ودِماءَهَم وأَنسابَهُم وأَموالَهُم، وتَضمَنُ لهمُ الأَمنَ الحقيقِيَّ، والسلامَ الحقيقيَّ، وتَقضِي على الفَوْضَى في التشريعاتِ والأخلاقِ الرذيلةِ الْمُتَحَلِّلَةِ، وتَغْرِسُ في نفوسِ الناسِ العقائدَ الصحيحةَ والعباداتِ الصحيحةَ والسياساتِ العادِلةَ، وتَغْرِسُ في نفوسِهِم الأخلاقَ الزَّكِيَّةَ، مِنَ الصِّدقِ والأمانةِ والعَدْلِ والْحِلمِ والكَرَمِ والرُّجولَةِ والشَّجاعةِ وَالأَمْرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عنِ الْمُنكَرِ والدَّعوَةِ إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وتُكَرِّهُ إلى النُّفُوسِ الكُفْرَ والْفُسُوقَ والْعِصيانَ والفَواحِشَ بالأقوالِ والأفعالِ.

فهل تَجِدُ في الدعواتِ إلى هذه الْحُرِّيَّاتِ شيئًا من هذه التشريعات الرَّبَّانِيَّةِ التي

فيها الزَّكاءُ والنَّقاءُ والبِناءُ؟!

وفيها التَّحَرُّرُ من الشِّركِ باللهِ والعبوديةِ لغَيْرِ اللهِ مِمَّن لا يَمْلِكُ لنفسِهِ ضَرًّا ولا نفعًا ولا مَوْتًا ولا حياةً ولا نُشورًا.

والتَّحَرُّرُ فيها من الأخلاقِ الساقِطةِ والأقوالِ الباطلةِ، والتَّحَرُّرُ مِن الفَوْضَى والْهَمَجِيَّةِ في الدِّينِ والأخلاقِ.

الأمورُ التي تُشَرِّعُها وتُقِرُّها الدعواتُ إلى حُرِّيَّةِ التَّدَيُّنِ وإلى حُرِّيَّةِ التعبير وإلى أُخُوَّةِ الأديانِ.

أَيُّها المسلمون؛

خُذُوا دِينَكُم بِجِدٍّ وقُوَّةٍ وعزيمةٍ صادقةٍ، وعَضُّوا عليه بالنواجذ، وارفُضُوا هذه الدعواتِ الباطلةِ التي اخْتَرَعَها أعداءُ اللهِ مِن شياطينِ البَشَرِ، والتي لا هَدَفَ لها ولا غايةَ لها إلاّ هَدمُ الإسلام وما فيه من عقائدَ عظيمةٍ وأخلاقٍ وعباداتٍ زَكِيَّةٍ، وإخراجُ الناسِ مِن عبادةِ اللهِ وتعظيمِ رسالاتِه ورُسُلِه إلى عبادةِ الشيطانِ والْهَوَى والأشجارِ والأحجارَ وغيرِها مِنَ الْمَخلوقاتِ والْمَنحُوتَاتِ، وإلى اتِّباع الشَّهَواتِ والسُّقُوطِ في حَمَأَةِ الرذائلِ!

فاعتَصِمُوا باللهِ جميعًا، واعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جميعًا، ولا تَفَرَّقُوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا، وعلى الْحَقِّ وضِدَّ الباطلِ أَعْوانًا.

واجعلوا آياتِ التوحيدِ نَصْبَ أَعْيُنِكُم، وغَايَةَ الغاياتِ مِن حَياتِكُم، ومِن هذه الآيات قولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة: ٥].

والآياتُ في هذا البابِ كثيرةٌ فَاحْفَظُوها، وَافْقَهُوهَا وطَبِّقُوها في حياتِكُم، واجعلوها دُرُوعًا وسُدُودًا في وَجهِ الدَّعَواتِ الباطلةِ؛ بلِ ادْعُوهُم لِيُؤمِنُوا ويَعمَلُوا بِها، وحَرِّرُوهُم وانتَشِلُوهُم مِن وهدة الضلالِ وظُلُماتِهِ ومَخازِيهِ ومِنَ العُبودِيَّاتِ لغيرِ اللهِ.

٢- يجبُ على جميعِ المسلمين أن يَتَذَكَّرُوا وأن يَعتَقِدُوا في قَرارةِ أَنفُسِهِم أنّ الله لم يَخلُقْهُم هَمَلًا، لا يَأمُرُهُم ولا يَنهاهُم، فيَختارَ كلُّ إنسانٍ ما يَهواهُ.

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

فلا يَظُنُّ باللهِ هذا الظنَّ السَّيِّء، مِن أنّ اللهَ خَلَقَنَا سُدًى وهَمَلًا، وأنّ الله خَلَقَ السماءَ والأرضَ وما بينهما بِغَيْرِ حكمةٍ ولا غايةٍ؛ إلاَّ الكفارُ الذين لا يَتَّبِعُونَ رُسُلَهُ، ولا يُصَدِّقون أخبارَهُ ووَعدَهُ ووَعيدَهُ، ولا يَحترِمُون تشريعاتِه، ولا يَنقادُونَ لأَوامِرِهِ، ولا يَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ، ولا يُحرِّمون ما حَرَّمَهُ.

لا يَظُنُّ هذا الظنَّ السَّيِّءَ، ولا يَتَمَرَّدُ هذا التَّمَرُّدَ إلاَّ الكُفّارُ الذين أَعَدَّ اللهُ لهم النارَ خالِدِينَ فيها، وبِئسَ القرار!

فهل يَعتَبِرُ ويَعقِلُ ويَنظُرُ في العواقِبِ مَنْ يَرْكُضُ وراءَهُم، ويَدعُو إلى سُلوكِ

مناهِجِهِم، بل ويَزهُو بِها؟!

أولئك الدُّعاةُ على أبوابِ جَهَنَّمَ الذين حَذَّر منهم رسولُنا الناصحُ الأمينُ ﷺ، فيَجِبُ على علماءِ الإسلامِ التحذيرُ منهم ومِن دَعواتِهِم، وأن يَكشِفُوا عَوارَهَا، ويَهتِكُوا أَستارَها بالْحُجَجِ والبراهينِ.

٣- يجب على الناس جميعًا أن يَعتَقِدُوا أنَّ حقَّ التشريعِ للهِ وَحدَهُ، لا يَمْلِكُهُ ولا شيئًا منه أحدٌ غَيْرُه.

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والديمقراطيةُ، وما يَنشَأُ عنها مِن القولِ بِحُرِّيَّةِ التَّدَيُّنِ وحُرِّيَّةِ الرأيِ وحُرِّيَّةِ التعبير، تُبيحُ التشريعَ لغيرِ اللهِ، وتُبيحُ الشِّرْكَ باللهِ، والكُفرَ به، وتُبيحُ الفواحشَ ما ظَهَر منها وما بَطَن، وتُبيحُ الإثمَ والبَغْيَ إلى أَبْعَدِ الحدودِ! وتُبيحُ القولَ على الله بغيرِ علمٍ، وتُبيحُ الْجِدالَ بالباطلِ لِيُدْحِضُوا به الحقَّ، كما قال اللهُ عن أسلافِهِم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ

لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

ويجب على المسلمين أن يَعتَقِدُوا أنّ اللهَ لَمْ يُشَرِّع لهم إلاّ ما يَنفَعُهُم ويُصْلِحُ قُلوبَهُم وأحوالَهُم وحياتَهُم، ويُسعِدُهُم في الدنيا والآخرةِ، ولَمْ يُحَرِّم عليهم مِن الأقوالِ والأعمالِ والأخلاقِ والمآكِلِ والْمَشارِبِ والْمَناكِحِ إلاّ ما يَضُرُّهُم ويُفسِدُ قُلوبَهُم وأخلاقَهُم وحياتَهُم. فما مِن خَيْرٍ وكمالٍ إلاّ شَرَّعَهُ اللهُ لهذه الأُمَّةِ، وما مِن شرٍّ وضَرَرٍ وضلالٍ وظُلمٍ وبَغْيٍ إلاّ حَرَّمَه، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فماذا يريدُ مَن يَدَّعي الإسلامَ، ثم يَركُضُ وراءَ أعدائِه مُطالِبًا بالديمقراطيةِ، داعيًا إلى حُرِّيَّةِ التعبيرِ وحُرِّيَّةِ التَّدَيُّنِ ووحدَةِ الأديانِ والْمُساواةِ بينَها؟ ولِسانُ حالِهِ يقول: إنَّ الكمالَ كلَّ الكمالِ في غيرِ الإسلامِ، وعند أعدائه، فتلك هي الحضارةُ الراقيةُ والمبادئُ الساميةُ التي يَجِبُ على أُمَّةِ الإسلامِ أن تَستَضِيءَ بها، وتدورَ في فَلَكِها، وتَنسِجَ على مِنوالِها؟.

هذا، مع العلمِ أنّ هؤلاءِ الْمُغْتَرِّين وَالغَارّين بها لا يأخذون مِن هذه الحضارة إلاّ الضَّارَّ الْمُهلِكَ الذي لا يزيدُهُم ومَنْ يُقَلِّدُهُم إلاّ خسارًا وبَوارًا وانحدارًا!

فمِنْ أَكْبَرِ الْمَهاناتِ والصَّغارِ والذُّلِّ والانحرافِ عن الإسلامِ وعقائِدِه ومناهِجِهِ أن نُقَلِّدَ أعداءَ اللهِ ورُسُلِهِ ودِينِهِ في تشريعاتِهِم وقوانينِهِم وقواعدِهم وأخلاقِهِم، بَدَلًا عن التَّمَسُّكِ بدِينِنَا، والاعتِزازِ بِما تَضَمَّنَهُ من عقائدَ صحيحةٍ وتشريعاتٍ حكيمةٍ ومناهجَ وأخلاقٍ عاليةٍ.

وبَدَلَ أن نَدعُوَهُم إلى الارتفاعِ إلى ما تسنَّمه الإسلامُ وأهلُهُ الذين فَهِمُوه وَالْتَزَمُوهُ وطَبَّقُوه مِن قِمَمٍ عاليةٍ؛ يِهبِطُ كثيرٌ من المسلمين إلى حَضيضِ جَهلِهِم وضلالِهِم ومُستنقعاتِهِم، فيَتَعَلَّقُ بالديمقراطيةِ، ويُحاكِمُ إليها وإلى ما انْبَثَقَ عنها

مِن قوانينَ وتشريعاتٍ جاهليةٍ في أعظم قضايا الإسلام، ويَطلُبُ مساواةَ الإسلامِ بالأديانِ الكافرةِ، ويَطلُبُ إنصافَ الرسولِ الكريمِ انطلاقًا من هذه الديمقراطيةِ التي شَرَعَها اليهودُ والنصارى والملاحِدَةُ لإذلالِ المسلمين وللقضاءِ على تشريعِ ربِّ العالمين.

يا مَعشَرَ المسلمين الْمَبهُورِين ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؟! وأينَ عُقولُكُم؟!

ولِماذا لا تَسمَعُون لِصَيْحاتِ عُلمائِكُم وعُقلائِكُم وحُكمائِكُم؟!

إنَّ الأمرَ واللهِ لَخطيرٌ إنْ لَم يَتَدارَكِ اللهُ هذه الأُمَّةَ، وإنْ لَم يُضاعِفِ العلماءُ والْحُكماءُ والعقلاءُ جُهودَهُم في صَدِّ هذه التياراتِ الجارِفةِ التي تَمتَلِكُ كلَّ الوسائلِ الشِّرِّيرةِ والْمُدَمِّرةِ التي تَهدِفُ إلى اكتِساحِ الْمُجتمعاتِ الإسلاميةِ، والقضاء على الإسلامِ والرَّمْيِ بأُمَّةِ الإسلام بعيدًا عن دينهم.

٤- يجب على المسلمين أن يَعتَزُّوا بدِينِهِم العظيم، الذي شَرَع لهم ضَبطَ الأقوالِ والأفعالِ في جميعِ شؤونِهِمُ الدِّينِيَّةِ والدُّنيَوِيَّةِ، ليُجَنِّبَهُمْ المخازي والرذائلَ والمهالِكَ والظُّلمَ والبَغيَ والعدوانَ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠]، أي: في الأقوالِ والأفعالِ، فهل يوجد مثلُ هذا التشريع في حضارةِ الغَربِ وديمقراطيتِها؟ لا والله؛ لا يوجد فيها العدلُ والإحسانُ والنَّزاهةُ، وإنّما الظُلمُ والطُّغيانُ، ولا يُوجدُ فيها النهيُ عن الفحشاءِ والْمُنكَرِ، بل تُشرِّعُ لهم ذلك، وتَحمِيهِ باسم حقِّ الْحُرِّيَّات.

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ

ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ الآية [الحجرات: ١١-١٢].

انظُر كيف يَحمِي الأعراضَ مِن السُّخرِيَّةِ والاِستهزاءِ ومِنَ التَّنابُزِ بالألقاب، وكيف يُقَبِّحُ هذه الأفعال ويَذُمُّها، وكيف يَحمِي الأعراضَ مِن الغَيْبَةِ، ويُشَبِّهُ مَن يفعل ذلك بِمَن يأكُلُ لَحْمَ الْبَشَرِ مَيتًا، تقبيحًا لها وتنفيرًا منها.

فهل يوجد مثلُ هذا في حضارةِ الغربِ وديمقراطيتِه وما نَشَأ عنها من تشريعات؟

لا والله؛ لا يوجد، كيف يُوجَدُ مثلُ هذا في ديمقراطيةٍ تُبِيحُ في تشريعاتِها كلَّ الْمُحَرَّماتِ، بِما فيها الزِّنا واللِّواطُ والخمرُ والرِّبا والتَّحَلُّلُ من الأخلاقِ العاليةِ، وما هو شَرٌّ من ذلك، وتحارِبُ دِينَ اللهِ الحقَّ، بل تَكفُرُ به، وتسعى جاهدةً للإجهاز عليه في عُقرِ داره!

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٠-٣٢].

فهل تَجدُ في حضارةِ الغرب وديمقراطيتِها تعظيمًا لِحُرُماتِ اللهِ وتعظيمًا لشعائره؟

وهل فيها تشريعاتٌ صارمةٌ باجتنابِ الرِّجسِ من الأوثانِ واجتنابِ قولِ الزُّورِ؟

وهل يُوجَد فيها أدنى تحذيرٍ من الشِّركِ باللهِ وبيانِ خُطورَتِه؟

كلاَّ والله؛ ما فيها إلاّ الدعوةُ إلى الكُفرِ والشِّركِ، وحمايةُ الرِّجسِ من الأوثانِ، وإباحةُ قَوْلِ الزُّورِ والكُفرِ والفواحشِ باسمِ حُرِّيَّةِ التَّدَيُّنِ وقَداسةِ

الأديانِ وحُرِّيَّةِ التعبير!

ومَن عنده احترامٌ للإسلامِ فلْيَخْجَلْ مِنَ المناداةِ بالديمقراطيةِ والتَّحاكُمِ إليها باسمِ حُرِّيَّةِ الأديانِ وتقديسِ الأديانِ التي بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ بِهَدمِها.

والشاهد أنَّ في الإسلامِ العَدْلَ في الأقوالِ والأعمالِ والْمُعتَقَداتِ، وضبطَ أقوالِ العِبادِ ومُعتَقَداتِهِم وأعمالِهِم.

وفي حضارةِ الغَربِ وديمقراطيَتِها الفَوضَى الدِّينِيَّةُ والأخلاقيةُ باسمِ الْحُرِّيَّاتِ والمساواةِ الكاذبةِ بين الحقِّ والباطل، بل بترجيح الباطل على الحقّ! والكُفرِ والشِّركِ على التوحيد والإيمان! بل بالسَّعْيِ الجادِّ في القضاء على التوحيد والإيمان وما يتبعهما!

ومِمّا جاء في الإسلام مِن ضَبطِ الأقوال، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

انظُر إلى قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ وما فيه مِن الأَمرِ بضبطِ الأقوالِ الْمُناقِضِ للفَوْضَى الديمقراطيةِ التي تُبيحُ للإنسانِ أن يقولَ ويفعلَ ما يشاءُ باسمِ حُرِّيَّةِ التعبيرِ، ولو كان سَبًّا للأنبياء وسُخرِيَّةً بهم!

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا**

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلاّ عن الخير وكون ذلك كلّه من الإيمان (١٧٣).

بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»[١].

قوله: «**مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا**» معناه: لا يَتَدَبَّرُها ويُفَكِّرُ في قُبْحِها، ولا يخاف ما يَتَرَتَّبُ عليها، وهذا كالكلمة عند السُّلطانِ وغيرِهِ مِنَ الوُلاةِ، وكالكلمةِ تُقذَفُ. أو معناه: كالكلمة التي يَتَرَتَّبُ عليها إضرار بِمُسلمٍ ونحو ذلك. وهذا كُلُّه حثٌّ على حفظ اللسان[٢].

ونَهَى الرسولُ ﷺ عن قِيلَ وقَالَ، وكَثْرَةِ السُّؤالِ.

وأمر رسولُ اللهِ ﷺ بِحِفظِ اللِّسانِ وكَفِّهِ، فقال السائل وهو مُعاذُ ابنُ جَبَل ﷺ: «وَإِنَّا لَمُؤاخَذُون بِما نَتَكَلَّمُ به؟» فقال رسول الله ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ (أو: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ) إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[٣].

وعن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ**»[٤].

وعن أبي الدَّرْداء ﷺ أنّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان (٦٤٧٧)، ومسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: التكلُّم بالكلمة يهوي بها في النار (٧٤٨١).

(٢) انظُر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٨/ ١١٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٠٥ رقم ٢١٥١١)، والترمذي في كتاب:الإيمان عن رسول الله ﷺ ٢٦١٦) وغيرُهما، وقال الترمذي: «حسنٌ صحيحٌ»، وانظر: «صحيح سنن الترمذي» (٥٩٠)، و«إرواء الغليل» (٢/ ١٣٨ رقم ٤١٣) للعلاّمة الألباني رحمه الله.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٦٤٤ رقم ١٢٢٧٩)، والترمذي في كتاب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الفحش والتفحُّش (١٩٧٤)، و ابن ماجه في كتاب: الزهد، باب: الحياء (٤١٨٥) وغيرُهم، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ»، وصَحَّحَهُ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٤٤٩)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٦٩٥).

الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ يَبْغَضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»(١).

والآياتُ والأحاديثُ في هذه الأبوابِ كثيرةٌ، وفيها من الآدابِ الكريمةِ والتربيةِ الراقيةِ على الأخلاقِ العاليةِ ما يُزَكِّي النفوسَ ويَحفَظُ العقائدَ ويَحمِي الأعراضَ مِن الامِتهانِ وما لا يَعرِفُ قَدرَهُ إلاّ الشُّرفاءُ النُّبلاءُ أُولُو الألبابِ والنُّهَى.

فهل يوجد مثلُ هذا الضبطِ لحمايةِ الدِّينِ الحقِّ والأخلاقِ الكريمةِ والأعراضِ الشريفةِ في حضارةِ الغربِ وديمقراطيتِها وتشريعاتِها؟!

أيّها المسلمون:

إنَّ اللهَ أَرسَلَ الرُّسُلَ بالآيات البَيِّناتِ للفُرقانِ بين الإيمانِ والكفرِ، والتوحيدِ والشِّركِ، والحقِّ والباطلِ.

وسَمَّى القرآنَ الْمُنَزَّلَ على خاتمِ الرُّسُلِ: «فُرْقَانًا»، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وفي الحديث: «**وَمُحَمَّدٌ فَرق بَيْنَ النَّاسِ**».

وسَمَّى اللهُ معركةَ بَدْرٍ «فُرقانًا»، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء فيحسن الخلق (٢٠٠٢)، وابن حبّان في «صحيحه» في كتاب: البرّ والإحسان، باب: ذِكرُ البيان بأنّ الْخُلُقَ الْحَسَن مِن أَثقَلِ ما يَجِدُ المرء في ميزانه يوم القيامة (٢/ ٢٣٠ رقم ٤٨١)، وقال الترمذي: «حسنٌ صحيحٌ».
ولشَطرِهِ الأخيرِ شواهدُ من حديث عبد الله بن عمرو وأسامة بن زيد وابن مسعود، راجع: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للعلاّمة الألباني ﷺ (٢/ ٥٣٦-٥٣٧ رقم ٨٧٦).

بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١]، يعني: يومَ بَدْرٍ الذي أعزَّ اللهُ به الإسلامَ ونَصَرَهُ وأَهلَهُ على الكُفرِ والكافرين.

وقال تعالى عن هذا اليوم وهذه المعركة الحاسمة الفارقة بين الحقِّ والباطلِ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

وإحقاقُ الحقِّ وإبطالُ الباطلِ أَمرٌ شَرَعَهُ اللهُ وأرادَه شرعًا في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

وأعداءُ اللهِ يُريدون غيرَ ما يُريدُ اللهُ وأنبياؤُه ورُسُلُه والمؤمنون الصادقون الْمُخلِصُون أولو البَصائرِ والنُّهَى، الذين لا تَنطَلِي عليهم حِيَلُ ومكائِدُ أعداءِ الإسلامِ المجرمين، والذين مِن أَخطَرِ مكائِدِهِم: الْخَلطُ بين الإسلامِ واليهوديةِ والنصرانيةِ والْمَجُوسيةِ، بل والشُّيُوعِية، ويحاربون هذا التفريقَ الذي شَرَعَهُ اللهُ لإحقاقِ الحقِّ وإبطال الباطل، ولو كَرِه المجرمون.

فالثباتَ الثباتَ على هذا الحقِّ وعلى هذا الفرقان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحمَّد: ٧].

وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وأشدُّ منهم وأخطرُ: الدعاةُ إلى وحدَةِ الأديانِ وأُخُوَّةِ الأديانِ ومُساواةِ الأديانِ!

وتذكَّرُوا قولَ اللهِ تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ

شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

فماذا سَيَلْقَى مَن يَركَنُ إليهم رُكونًا كثيرًا ويَمِيلُ إليهم مَيْلًا عظيمًا.

واللهُ يقول: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]؟!

ومع كلِّ ذلك فلن يُحاوِرَكُمُ الغَربُ حوارَ النِّدِّ للنِّدِّ، بل يُحاوِرُكُم حوارَ السَّيِدِ الْمُتَعالِي لِلعَبْدِ الذَّليلِ! بل حوارُ مَن يَفرِضُ ما يريد!

وقد ضرب اللهُ مِثالَيْنِ فارِقَيْنِ بين التوحيدِ والشِّرْكِ، فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

«الشجرةُ الطَّيِّبةُ» هي: «النخلة»، تُؤتِي ثِمارَها كلَّ حينٍ، ضَرَبَها اللهُ مثلًا: «الكلمة الطيبة»: «لا إله إلا الله» وما يقومُ عليها من العقائدِ والأعمالِ الصالحةِ والأخلاقِ العاليةِ.

ثُمّ قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

قال الْمُفَسِّرُون: إنّ هذه «الشجرة الخبيثة» هي: «الْحَنظَل»، لا أَصلَ لها ولا قَرار، ضَرَبَها اللهُ مثلًا للشِّركِ والكُفرِ الذي شَرَعَه الشيطانُ، فاستجاب له مَن خَذَلَهُ اللهُ وأَخزاهُ مِن أهلِ الْمِلَلِ الضَّالَّةِ، فلَوْ عَمِلُوا من الأعمالِ ما عَمِلُوا لا يَقبَلُها اللهُ منهم.

كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]،

ومصيرهم إلى النار وبئس القرار!

بعد هذا التفريقِ الواضحِ الجلِيِّ من رَبِّ العالمين بين الإسلامِ والمسلمين وبين الكُفرِ والكافرين، يذهبُ أناسٌ يَدَّعونَ الإسلامَ يَدْعُونَ إلى الْخَلْطِ والمساواةِ بين الإسلامِ والنِّحَلِ الكافرة! ويَطلُبون مِن الأُمَمِ الْمُتَّحِدَة والهيئاتِ الدوليةِ أن تُصدِرَ قراراتٍ تسوِّي بين الأديان! ولا مانعَ عندَهُم أن يكون الإسلامُ في ذَيلِ الأديانِ! عياذًا بالله من هذه المواقف الذليلة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠].

فعلى الْمَخدُوعِين بقضايا الحوارِ وحُرِّيَةِ الرأيِ وحُرِّيَّةِ التَّدَيُّنِ أن يُدرِكُوا أنَّ الغربَ الاستعماريَّ إنَّما يريد فَرضَ مَنهَجِهِ الفكريِّ، ويَرفُضُ الحوارَ إلاّ مع نفسِهِ أو السائرين على نَهجِهِ، اقرأ ما يقولُهُ أحدُ فلاسفةِ الغَربِ، وهو: (الكاتب الفرنسي ريجيس دوبريه) في تعليقه على قضية الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة لرسولِ اللهِ ﷺ، مُعتَبِرًا أنَّ النَّهجَ الفِكريَّ الأوروبي ما زال استعماريًّا. وطلب (دوبريه) في لقاء مع أسبوعية «لونوفيل أوبسرفاتور» الفرنسية من الأوروبِيِّين التَّخَلِّي عن مُحاولاتِ فرضِ أفكارِهِم على عالَمٍ يَلعَبُ فيه الدِّينُ الدَّوْرَ الأكبرَ.

ويقول: «لقد خَلَعنا الخوذة، ولكنْ تفكيرُنا بَقِيَ استعماريًّا».

يقول (دوبريه) مُوضِّحًا:

«نُريد أن يكون العالَمُ شبيهًا بنا، وإلاَّ حَكَمنَا عليه بالتَّخَلُّفِ والبَرْبَرِيَّةِ».

ويُضيفُ أنّ هذا العَيبَ الْحِسِّي التاريخي لدى الفَوْضَوِيِّينَ والإِباحِيِّينَ في بُلدانِنَا يَتَحَدَّر من ضَمِيرٍ مَحْضٍ استعماريٍّ.

ويقول: «الغَربُ يُفاخِرُ بنِظامِهِ الْمُتَعَدِّدِ النَّقدِيِّ، ولكنَّهُ يَرفُضُ التحاورَ إلاَّ مع نفسه أو مع شَرقِيِّينَ ذوي ثقافةٍ غَربِيَّةٍ، نُوَكِّل إليهم مهمَّة إخبارِنا بِما نُحِبُّ سَماعه»!؟[1].

وأكبرُ شاهدٍ لِما يقول، وقد أَدرَكَهُ قبلَهُ ذَوُو العقولِ واليَقَظة، أنّه منذ نادى رؤساء النصرانيةِ مِن حوالَيْ ثلاثينَ عامًا بِحوارِ الأديانِ، وعُقِدَتْ مُؤتَمَراتٌ لِحوارِ الأديانِ، فلَمْ يَتَحَرَّكْ هؤلاءِ إلى الإسلامِ خُطوَةً واحدةً، وإنَّما يَتَحَرَّكُ إليهم وإلى مناهِجِهِم مَن يُحاوِرُهُم ويَدعُو إلى حوارِهِم، ولو واجَهُوهُم بِحقائِقِ الإسلامِ لَتَوَقَّف الحوار، ولَفَرَّ الكَنِسِيُّونَ فِرارَ الأرانِبِ مِنَ الأُسودِ!

ويَجِبُ التَّنَبُّهُ إلى ذوي الثقافةِ الغربيةِ الْحَرِيصِينَ على هذا الحوارِ، ويَجِبُ أن تُعرَفَ أهدافُهُم، كما انتَبَهَ لهم هذا الفيلسوفُ وبَيَّن واقعَهُم.

وصلَّى الله على نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه:

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

٢١/ صفر/ ١٤٢٧هـ

---

(١) جريدة الوطن: الاثنين ٢١/ محرّم ١٤٢٧هـ، الموافق ٢٠ فبراير ٢٠٠٦م، العدد: ١٩٧٠ السّنَّة السادسة، ص ٢٧).

الانتصار

للرسول المختار ﷺ

للشيخ

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

فلَقَد نَشَرَت وسائلُ الإعلامِ مِن صُحُفٍ وغيرِها تلك الأنباء الْمُؤْلِمَة الدَّامِيَة التي تَصدُرُ من أعداءِ الإسلامِ الحاقدين الموتورين على الإسلام ونَبِيِّ الإسلام.

تلك التَّصَرُّفاتُ التي تَحمِلُ في طَيَّاتِها الطَّعنَ في رسولِ الله مُحمَّدٍ ﷺ، والتَّشويهَ لرسالَتِهِ مِن قِبَلِ أَفرادٍ ومُنَظَّماتٍ نَصرانيَّةٍ حاقدةٍ، ومِن قِبَل بعضِ الكُتَّابِ الحاقدين الْمُستَهْتِرينَ، مثل كُتَّاب الصحيفةِ الدنمركية (جيلاندز بوستن)، التي سَخِر كتابُها مِن أَفضَلِ الْبَشَرِ وأَكمَلِ الرُّسُلِ مُحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، الذي ما عَرَفَتِ الأرضُ أَنْبَلَ ولا أَكرَمَ منه أَخلاقًا وعَدلًا ورَحمةً، ولا عَرَفَت رسالةً أَكْمَلَ وأَشْمَلَ وأَعدَلَ وأَرحَمَ مِن رسالَتِهِ. تَضَمَّنَت هذه الرسالةُ الإيمانَ بجميعِ الأنبياءِ والرسلِ، واحترامَهم وحمايَتَهم من الطَّعْنِ والتَّنَقُّصِ، وحَفِظَت حقيقةَ تاريخهم، ومنهم عيسى وموسى، فمَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ وَانتَقَصَهُ فقَدْ كَفَر بِهِم وَانتَقَصَهُم جميعًا.

ولقد سَخِر منه الأَوْغادُ الْمُتَوَحِّشُون، حيث صَوَّرُوهُ فِي صُوَرٍ شَتَّى.

(١٢) صورةً مُزْرِيَةً، وإحدى تلكَ الصُّوَر تُظهِر مُحمَّدًا ﷺ مُرتَدِيًا عِمامةً تُشبِهُ قُنبُلَةً فوقَ رأسِهِ!

ونقول لهؤلاءِ الْمُجرِمِينَ ولِمَن وراءَهُم مِن الحاقِدِين في أوروبا وأمريكا: «رَمَتْنِي بدائِها وَانْسَلَّت».

فمُحمَّدٌ ﷺ وخلفاؤُه الراشدون وصحابتُه الأكرمون لم يُنشِئوا مصانِعَ حتَّى

للأسلحةِ البِدائية من السُّيُوفِ والرِّماحِ، فَضلًا عن القنابِلِ الذُّرِّيَّةِ والصواريخِ العابِرَةِ للقارَّاتِ وسائرِ أسلحةِ الدَّمارِ الشَّاملِ.

لم يُنشِئ مُحمَّدٌ ﷺ مَصنَعًا واحدًا؛ لأنّه بُعِثَ رحمةً لِلعالَمِينَ، ولِهدايةِ البَشَرِ أجمعين إلى ما يُسعِدُهُم في دنياهم وأُخرَاهُم، ولِيَقُومُوا بِحَقِّ خالِقِهِم الذي خَلَقَهُم لعبادتِه، فمَن أَبَى ذلك فهو مُجرِمٌ يَستَحِقُّ العقوبةَ في الدنيا والآخرة من ربِّ العالمين، سَيِّدِ هذا الكونِ وخالقِهِ.

أَمَّا أَنتُم أيُّها الغربِيُّون الْمُدَّعُون للحضارةِ؛

فنقول: إنّ لدَيْكُم الدساتيرَ والقوانين التي تُدَمِّرُ الأخلاقَ وتُبِيحُ ألوانَ الْمُحرَّماتِ، ومنها الزِّنا والشُّذوذُ الْجِنسِي! ومنها الرِّبا الذي يُدَمِّرُ اقتصادَ الأُمَمِ! ومنها إباحةُ أَكْلِ الْمَيِّتَةِ ولُحومِ الْخنازيرِ التي تُورِثُ الدِّيَاثَةِ، فلا يَغارُ الرجلُ على زَوجَتِهِ وأُختِهِ وبِنتِهِ، فلها أن تَزنِيَ وتُخادِنَ مَن شاءَت! وهذه من وسائل الدَّمارِ التي حَرَّمَتها كلُّ الرسالات.

أمَّا القنابلُ وسائِرُ أسلحةِ الدَّمارِ ووَسائِلِها، مِن طائراتٍ حَربِيَّةٍ ودَبَّابَاتٍ وصواريخَ عابِراتِ القارَّاتِ، فأَنتُم مُهَندِسُوها وصُنّاعها بعُقولِكُم الشيطانيةُ التي لا تُفَكِّرُ إلاّ في البَغيِ والعُدوانِ والظُّلمِ والبَطشِ والطُّغيانِ والاِستِعلاءِ على أصنافَ البَشَرِ وَاستِعبادِهِم، وسَفكِ دِمائِهِم، وَابْتِزازِ ثَرَواتِهِم، ولا تُفَكِّر إلاَّ في إبادةِ مَن نَاوَأَكُمْ، ووَقَفَ في وَجهِ مَطامِعِكُم وبَغْيِكُم وعُدوانِكُم، وكلُّ ذلك مُغَلَّفٌ باسمِ الحضارةِ وحقوقِ الإنسانِ والْحُرِّيَةِ والعدالة!

وَكُلُّ عقلاء البَشَرِ يَعرِفُون هذا عَنكُم، وتاريخُكُم الأسودُ زَاخِرٌ بأعمالِكُم الوَحشِيَّةِ والإرهابِيَّةِ، ذلكم التاريخُ الذي سَجَّلَهُ عليكم العدوُّ والصَّدِيق.

ومَن لا يَعرِفُ ذلك فلْيَقرَأْ تاريخَ استعمارِكُم للأُمَمِ، ولْيَدْرُسْ على الأقلِّ

تاريخَ حَرْبَيْكُم العالَمِيتَيْنِ وبعضَ نتائجها، التي منها أنّه قد بَلَغ عَدَدُ القَتلَى في الحرب العالَميةِ الأولى في أوروبا: «أكثرَ مِن عَشرةِ ملايينَ كانوا زَهرَةَ شبابِ دُوَلِهم! وأَكثَرُ مِن ضِعفِهِم كان قد سَقَطَ جريحًا، وكُتِبَ عليه أن يَعيشَ مُقعَدًا أو عاجزًا حتَّى آخِرَ حياته!»، انظر: «التاريخ المعاصر لأوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية» (ص ٥٠٥).

وبلغ عددُ القتلى في الحرب العالمية الثانية «١٧ مَليُونًا من الجنود، و١٨ مَليُونًا مِن الْمَدَنِيِّين، قد قُتِلُوا خلالَ خَمسَةِ أَعوامٍ ونِصْف! الْخُبَراءُ يقولون إنّ النفقاتِ العسكريةَ وَحدَهَا قد بَلَغَت ١١٠٠ مليار دولار! أمّا الخسائرُ التي سَبَّبَتها الحرب فقد بَلَغَت ٢١٠٠ مليار دولار! يُضاف إلى ذلك الْمُدُن الْمُخَرَّبةُ، والأراضي الْمَحرُوقَةُ، والْحُقولُ الْمَغمورةُ بالمياهِ، والمصانعُ والْمَناجِمُ التي تَوَقَّفَ العملُ فيها، ثُمَّ قُطعانُ الماشيةِ التي تَمَزَّقَت وتَبَدَّدَت!»!؟ «(الحرب العالمية الثانية» لرمضان لاند، ص٤٤٨-٤٤٩).



قنبلة هِيرُوشِيمَا:

قال مُؤلِّفُ كتابِ «الحرب العالمية الثانية» (ص٤٤٦-٤٤٧): «وقد يكون مِن المناسِبِ أن نَتَحَدَّث قليلًا عن هذه القنبلة الذُّرِّيَّةِ الأُولَى، فنُرَدِّدَ ما وَرَدَ على لِسانِ أحدِ اليابانِيِّينَ في حديثه مع مارسيل جونو، مُمَثِّلِ الصليبِ الأحمر، عن ماهِيَّةِ هذا الانفجارِ الرهيبِ، قال: وفجأةً ظَهَرَ في السماءِ ضِياءٌ وَردِيٌّ باهِتُ اللونِ شَدِيدٌ جدًّا، يُرافِقُهُ اهتزازٌ غيرُ طبيعيٍّ، ثُمّ لَحِقَت به مباشرةً مَوجَةٌ مِن

الحرارةِ الخانِقةِ ورِياحُ عاصفةٌ كانت تجتاحُ كلَّ ما تَجِدُهُ أمامَه!

وفي ثوانٍ قليلةٍ اِحتَرَقَ الآلافُ من الناس الذين كانوا يَسيرُون في الشوارع، أو يَجلِسُون في الشوارع العامَّة القائمة في وسط المدينة! كثيرون قُتِلُوا بالحرارةِ الهائلةِ التي انتَشَرَت في كلِّ مكانٍ، وآخرون كانوا يَبقَوْنَ فوقَ الأرضِ صارِخِينَ من الأَلَمِ، وقد انتَشَرَت في أجسادِهِم حروقٌ مُميتَةٌ! كلُّ ما كان قائمًا فوق منطقةِ الانفجارِ جدران، منازل، مصانع وأَبنِيَة أخرى قد أُبِيدَ إبادةً تامَّةً! وَاندَفَعَ فُتاتُ هذه الأشياءِ نحو الفضاءِ في دَوَّامةٍ رَهيبةٍ! الحافلاتُ الكهربائيةُ انتُزِعَت من خُطوطِها الْحَدِيدِيَّةِ وَانقَذَفت، كما أنّها لو أنّها فَقَدَت وَزنَها وتَماسُكَها، القِطاراتُ هِي ارتَفَعَت بدَوْرِها، وكأنّها مَجموعةٌ من لُعَبِ الأطفال! الخيولُ والكلابُ والماشيةُ أصابَها ما أصاب البَشَر! كلّ ما كان من الأحياء قد فَقَد حياتَهُ في وَضعٍ مُؤلِمٍ يَعِزُّ على الوَصفِ! وَاختَفَتِ الأشجارُ في اللَّهِيبِ، وفَقَدَت شتلاتُ الأَرُزِ خَضرَتَها، وَاحتَرَقَ العُشبُ الأخضرُ كما يَحتَرِقُ القَشُّ اليابس!

أمّا ما وراءَ منطقةِ الْمَوْتِ؛ فقد انْهَارَتِ المنازلُ، وأَصبَحَت أكوامًا من الألواحِ الخشبيةِ والقرميط والأعمدةِ الْحَجَرِيَّةِ! لقد انْهَارَ كلُّ شيءٍ كما تَنهَارُ بُيوتُ الكَرتُونِ في دائرةٍ قُطرُهَا عَشرَةُ كِيلُومِتْرٍ!

أمّا الذين كُتِبَت لهم النجاةُ مِن الْمَوتِ، فقد وَجَدُوا أنفسَهُم مُحاطِينَ بسِتارٍ من اللَّهَبِ! أمّا الأفرادُ القليلون الذين استطاعوا اللجوءَ إلى مَخبَإٍ من الْمَخابِئِ فقد ماتُوا بعدَ عِشرِينَ أو ثلاثينَ يومًا من الأَلَمِ بتأثير إشعَاعَاتِ (غاما) الْمُمِيتَة! وفي المساءِ بَدَأَتِ النيرانُ تنخَفِضُ، ثُمّ ماتَت، إذ لم يَعُد هناك شيءٌ تَأكُلُه هذه النيرانُ! لقد انتَقَلَت هيروشيما إلى العدم!»اهـ.

هذه بعضُ مَعالِمِ حضارَتِكُم التي تَتَغَنَّوْنَ وتَتَباهَوْنَ بِها، وتَتطاوَلُون بها على الإسلامِ وعلى نَبِيِّ الإسلامِ، وما تزالون في الازديادِ مِن كُلِّ ألوانِ الظُّلمِ

والإفسادِ، وما تَزالون في ازديادٍ من اختراعِ وسائلِ الدَّمارِ والهلاكِ والإهلاكِ والبوارِ، وتلك واللهِ هي نِهايةُ الوَحشِيَّةِ والحيوانيةِ، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

فاجعلوا قنابِلَكُم، ومنها قُنبُلَةُ هِيرُوشِيمَا وأخواتِها تِيجانًا لكم ولزعمائِكُم، واجعلوا سائرَ أسلحةِ الدمارِ الشاملِ أنيابًا ومَخالِبَ لكم، تَفترِسُون بِها الوُحوشَ والبشر.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وكتبه:

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

٢٨/ ١٢/ ١٤٢٦هـ

لا يا مفتي مصر ...

ما هكذا تورد الإبل!

للشيخ

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فقد نَشَرَت صحيفةُ «المدينة» في عددها (**١٥٦٢١**) الصادر في يوم الأحد **٢٩/ ١٢/ ١٤٢٦**هـ، الموافق **٢٩/ ١/ ٢٠٠٦**م، مقالًا تحت عنوان: «مفتِي مصر أَكَّد التَّحَرُّك لِمُقاضاة الصحيفةِ الدنماركية»، هذا نصُّه:

«علمت «المدينة» أنّ التصدِّي لحملة الصحافة الدنماركية المسيئة إلى نبِيّ الإسلام عليه الصلاة والسلام تَتصَدَّر أجندة الوفد الإسلامي المسيحي الذي غادر القاهرةَ قبلَ أيَّامٍ، مُتوجِّهًا لإيرلندا في زيارةٍ تَستَغرِقُ خَمسةَ أيَّامٍ، وكَشَفَت مصادرٌ بدارِ الإفتاء المصرية «الرسالة» أنّ مفتي الديار د. علي جمعة الذي يتَرَأَّسُ الوَفدَ أَجرَى عِدّة لقاءات بوسائلِ إعلامٍ إيرلندية وأوروبية، ونَقَل إليهم استياءَ العالَمِ الإسلامي مِن هذه الْهَجْمة الشَّرِسة على نَبِيِّ الإسلام، وأنّه وَجَدَ تَفَهُّمًا مِن بعضِ السياسيِّين والإعلاميِّين ورجالِ الدِّين المسيحي في إيرلندا واستنكارًا لتلك الحملة، والتي تتصادم مع أبسط مبادئ الْحُرِّيَّة، لأنّها تُسيء إلى خاتَمِ الأنبِيَاءِ وأكثرَ مِن مليارٍ ونصفِ المليارِ مُسلِمٍ، حيث قال مفتي مصر: «إنّ الإسلام يُؤمِنُ بالحوار ومَدِّ جُسورِ التعاونِ مع أتباع الديانات الأخرى، ويُؤمِنُ باحترامِ الْمُقَدَّساتِ الدِّينِيَّة دون تَمْيِيزٍ». مُؤَكِّدًا حِرصَ بلادِهِ على تقديم النموذج المصري الْمُتَمَيِّز في العلاقات الإسلامية المسيحية إلى العالم الأوروبي والغربي.

وأشار جمعة إلى أنّ الوفد الذي يَضُمُّ رئيس الكنيسة الأُسقُفِيَّةِ في مصر وشَمالَيْ إفريقيا والقَرنِ الأفريقي: الْمَطرانُ مُنِير حنا أنيس، ورئيسُ لجنةِ حوارِ الأديانِ بالأزهر: الشيخُ فوزي الزفزاف، ونائبُ رئيس اللجنة الدكتور علي السمان؛ إلى أهمية توحيد الجهود الإسلامية المسيحية في مصر والعالم العربي ضدّ تيَّارِ الإلحادِ في الغَربِ، والذي يَسخَرُ بشدَّةٍ من الأديان كافَّةً، سواءً المسيحية أو الإسلام أو حتّى اليهودية، مِن خلالِ أعمالٍ دراميةٍ، أو مقالاتٍ ورسوماتٍ في الصُّحُفِ وغيرِها من وسائل التعبير.

وقال إنّ حُرِّيَّة التعبير التي يَتَشَدَّقُ بها الغَرْبُ يَجِبُ أن تكونَ حُرِّيَّةً مسؤولةً ولا تَنتَهِكَ حُرِّيَّةَ الآخرين.

وأشار مفتي الديار المصرية أنّ الزيارة تستهدف إيصالَ الإسلامِ الصحيحِ إلى العالمِ الغربِيِّ من خلال مَدِّ جُسورِ الحوار، والتأكيد على أنّ الإسلام يَرفُضُ الإرهابِ بشِدَّةٍ، ويَسعَى إلى نَشرِ السلامِ وثقافةِ الحوارِ.

ودعا الحكومات الغَربِيَّةَ إلى عدم الدفاع عن ازدِراءِ الأديانِ تحت دعوى حُرِّيَّةِ الرأي والتعبير، كما حثَّ المسلمين أن يَسلُكُوا قنواتِ الشريعة عند تَضَرُّرِهِم بِما يسيء إلى عقيدتِهم ونَبِيِّهِم عليه الصلاة والسلام.

وأكَّد مفتِي مصر اللجوء إلى القضاء فيما يَتعلَّقُ بانتهاكاتِ الصُّحُفِ الدنماركية للعقيدة الإسلامية، لكنَّهُ قال: «إنّ هذه الأخطاءَ شخصيةٌ، ولا يجب أن تُعَمَّمَ على كلِّ أوروبا والعالم الغربي.

وكانت رئيسةُ الجمهوريةِ الإيرلندية: (ماري ماكليز) قد أَعلَنَت حِرصَهَا على ترتيبِ لقاءٍ مع الوَفدِ الإسلامي المسيحي، واصِفِينَ الزيارةَ بأنّها (تاريخية). وهي الزيارة التي تأتي بدعوةٍ من الكنيسة الأُسقُفِيَّة في إيرلندا، وبالتنسيق مع

الحكومة الإيرلندية، وتجري في إطار تنفيذ اتّفاقية الحوار التي وُقِّعَت بين الأَزهَرِ الشريف والكنيسة الأُسقُفِيَّة في بريطانيا عام ٢٠٠٢م»اهـ.

وسوف أُناقِشُ بعضَ هذه الفقراتِ التي نُسِبَت إلى مفتِي مصرَ مِن بابِ بيانِ موقفِ الإسلامِ الحقِّ والصحيحِ من الدياناتِ الأخرى، قِيامًا بواجبِ النصيحةِ للإسلامِ والمسلمين، وقِيامًا بواجبِ الأمانةِ العِلمِيَّةِ التي سَنُسْأَل عنها بين يديِ اللهِ يومَ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بَنُونٌ، إلاَّ مَن أتى اللهَ بقلبٍ سَليمٍ.

١- يقول الْمُفتِي:

«إنّ الإسلامَ يُؤمِنُ بالْحِوارِ ومَدِّ جُسورِ التَّعاوُنِ مع أَتباعِ الديّاناتِ الأخرى، ويُؤمِنُ باحترامِ الْمُقَدَّساتِ الدِّينِيَّة دون تَمييزٍ».

وأقـول:

لا ندري ما هي هذه الجسورُ؟ ولا ندري ما هي المجالاتُ التي يَتِمُّ التعاونُ فيها بين الإسلامِ والديّاناتِ الأخرى؟ نرجو مِن مُفتِي مصر أن يُبَيِّنَها لنا؟

وأَيْنَ في القرآنِ والسُّنَّة الإيمانُ باحترامِ الْمُقَدَّساتِ الدِّينِيَّة دون تَمييز؟

هل نَحتَرِمُ مَعابِدَ البُوذِيِّينَ والْهَنْدُوك، ونُؤمِنُ بقَداسَتِها؟!

وهل الإسلامُ يُؤمِنُ باحترامِ الصُّلبَانِ التي يُقدِّسُها النصارى ويَعبدونَها؟!

وهل نُؤمِنُ بقَداسةِ الكنائس وما فيها مِن مظاهِرِ الشِّرْك؟!

وهل عقيدةُ: «أنّ عيسى هو اللهُ، أو ابنُ اللهِ، أو ثالثُ ثلاثةٍ»: عقيدةٌ مُقدَّسةٌ عند المسلمين؟!

إنّها عقيدةٌ كافِرةٌ، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ

﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾ [المائدة: ٧٣].

وهل نأخذ مِن قولِ الْمُفتِي: «إنّ الإسلام يُؤمِنُ باحترامِ الْمُقَدَّساتِ الدِّينيَّة دون تَمييزٍ»:

أنّ الإسلامَ وهذه الدياناتِ كلَّها تَقِفُ على قَدَمِ الْمُساوَاة سواءً بسواءٍ، دونَ تَمييزٍ للإسلام على غَيْرِه؟ فأين أنتَ أَيُّها الرجلُ مِن قولِ اللهِ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصفّ: ٩].

فالهدى ودينُ الحقِّ خاصَّان بالإسلامِ، والأديانُ الباطلةُ تَختَصُّ بالباطلِ والْغَيِّ والضلالِ.

ويجب أن يكونَ الإسلامُ هو العالي وهو الظاهر، وكلمةُ الكُفرِ هي السُّفلَى، وكلمةُ اللهِ هي العُليا.

ونقول لأهل الإسلام ما قاله اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

إنّ الله لَيَأبَى هذه المساواةِ، وكذلك الإسلامُ والمسلمون، قال تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٧].

فكيف يَرضَى اللهُ والمؤمنونَ بالمساواةِ بينَ الإسلامِ دينِ اللهِ الحقِّ وبينَ الدِّياناتِ الكافرةِ الباطلةِ؟! فهل تَستَوِي الظلماتُ والنورُ؟! قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلۡحَرُورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١].

٢- قال الْمُحَرِّرُ:

«وأشار جمعة -يعني: الْمُفتِي- ... إلى أهمّيةِ توحيدِ الجهودِ الإسلاميةِ المسيحيةِ في مصر والعالمِ العربِيِّ ضدَّ تيارِ الإلحادِ في الغرب، والذي يَسخَرُ بشِدَّةٍ من الأديانِ كافَّةً، سواءً المسيحية أو الإسلام أو حتّى اليهودية من خلال أعمالٍ درامية أو مقالات أو رسومات في الصحف وغيرها من وسائل التعبير».

أقـول:

وأنا أسألُ الْمُفتِي عن: «توحيد الجهود الإسلامية المسيحية ... ضدَّ تيارِ الإلحاد».

كيف يكون هذا التوحيد؟ وكيف تُوحَّد هذه الجهودُ الإسلاميةُ المسيحيةُ ضدَّ الإلحاد؟

وأسأله: ما هو مَوقِفُنا من جمعياتِ القساوسةِ التي تطعن في الإسلام ورسولِ الإسلام عليه الصلاة والسلام؟!

وما هو موقِفُ هؤلاءِ الْمُتَوَحِّدِين مِن جمعياتِ التبشيرِ والتنصيرِ التي تَنتَشِرُ في أرجاءِ العالَمِ الإسلامي، مَشارقِه ومَغارِبِه إلاّ ما شاء الله؟ ولعلَّ هؤلاء الْمُنَصِّرِينَ يَبلُغُون الملايين!

وإذا سَخِرَ شخصٌ مُلحِدٌ أو غيرُ ملحدٍ من أسطورة «الصلب»، أَيَجِبُ على المسلمين أن يَتَوَحَّدوا مع الصَّلِيبِيِّينَ فيَهُبَّ الجميعُ للدفاع عن هذه العقيدة؟!

وإذا طَعَن شخصٌ أو أشخاصٌ أو صُحُفٌ في مظاهِرِ الشِّركِ في الكنائس أو طَعَن بِحقٍّ في عقيدة: «أنَّ عيسى هو الله، أو ابن الله، أو ثالثُ ثلاثةٍ»، فهل

على المسلمين وعلمائهم أن يَذُبُّوا عن هذه العقائد الباطلة باسم الْمُقدَّسات؟!

وهل يَغضَبُ النصارى إذا هاجمَ تيَّارُ الإلحادِ الإسلامَ ونَبِيَّ الإسلام؟!

وهل أنتَ مُتأَكِّدٌ أنَّ الصُّحُفَ التي سخرت من رسولِ اللهِ ﷺ أنَّها صحفُ تيّارِ الإلحادِ الذي يَسخَرُ من الإسلامِ ونَبِيِّه، وأنَّها تَسخَرُ من الديانةِ النصرانيةِ ورُموزِها؟!

أو أنّ هذه المقولةَ مِن أَلَاعِيبِ النصارى خُدِعتَ بها!

أَمَا علمتَ أنّ كلَّ الهيئاتِ الحكوميةِ في الدنمارك قد تضامَنَت وهي نصرانيةٌ مع الجريدةِ الساخرةِ من رسولِ اللهِ ﷺ؟! وأنّ الرأي العامَّ الدنماركي قد تفاعل مع هذه الجريدةِ وهم نصارى لا مُلحِدِين كما يزعمون؟!.

وهل اليهود مُستَعِدُّون أن يُدافعوا عن الإسلامِ ونبِيِّ الإسلام؟!

لا يُمكِنُ أيُّها الشيخُ أن يفعلوا شيئًا مِن ذلك، إلاَّ أن يتخلَّوْا عن يَهُودِيَّتِهِم، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ [المائدة: ٨٢].

فالذين وَصَفَهُم اللهُ بهذا الوصفِ كانوا على النصرانية ثُمَّ أَسلَمُوا، كما يدلُّ عليه سياق القرآن؛ وليس المرادُ النصارى الْمُتَعَصِّبين لدِينِهِم الْمُعادِين للإسلام.

أيُّها الْمُفتِي؛ ألاَ ترى خطورةَ هذا الأسلوبِ على شبابِ المسلمين الذين يُقَدِّرونَكَ، ويَعتَبِرُونَكَ من أئمَّةِ الإسلام الذين لا يقولون إلاَّ الحقَّ، فَيَقَعُونَ في الإيمانِ بأُخُوَّةِ الأديان أو وحدة الأديان؟!

ويزداد الأَسَى أنَّ هذا الْمَنحَى الذي سار عليه مُفتِي مصر قد سار عليه كثيرٌ من المؤسَّسات والكُتَّاب في صحف المسلمين.

وفي هذا الاتِّجاهِ من الأخطارِ والأضرارِ الكبيرةِ ما لا يَعلَمُهُ إلاَّ اللهُ، والفائدةُ

من ورائه ضئيلةٌ جدًّا إذا قِيسَت بِحجمِ الأضرارِ والمكاسبِ الكبيرةِ لأعداءِ الإسلامِ الذين لا يَخسرُون إلاَّ الاعتذارَ إنْ حَصَل منهم، وهو حِبرٌ على وَرَق! كما يُقال.

فالواجب على المسلمين أن يَتَمَسَّكوا بدِينِهِم، وأن يَعَضُّوا عليه بالنَّواجذِ، ومَن عندَهُ منهم انْحِرافٌ في عقيدَتِه أو مَنهَجِه فلْيَعُدْ إلى الحقِّ، فإنَّ هذا هو أكبرُ نَصْرٍ للإسلام، وأعظمُ نِكايةً وغَيْظًا لأعدائِهِم، وطريقٌ للمسلمين إلى استعادة عِزِّهم ومَجدِهِم ومَهابَتِهِم.

٣- قال الْمُفتِي:

«إنَّ هذه الأخطاء شخصيةٌ، ولا يجب أن تُعَمَّم على كلِّ أوروبا والعالمِ الغربي».

أقـول:

وهذه النتيجةُ غَنِيمةٌ كبيرةٌ على الأقلِّ لحكومةِ الدنمارك، إن لم تكن غنيمةً لأوروبا كلِّها والغربِ كلِّه!

هذه هي النتيجة التي تَمخَضَّت عنها رحلة مُفتِي مصر والوفد المرافِقِ له أن يُبرِّئ أوروبا والغرب من مسؤوليةِ أكبرِ جريمةٍ تُرتَكَب تحتَ سَمعِ وبَصَرِ حكومةِ الدنمارك والنُّرْوِيج، وتحتَ سَمعِ وبَصَرِ الرأيِ العام في الدولتين، رغم صَيْحاتِ المسلمين في أوروبا والعالم الإسلامي، وتنديدِهم بهذا العمل الإجرامي والْهُتاف بالمؤسَّساتِ والهيئاتِ الدِّينِيَّة والسياسية للقيام باستنكار هذه الجريمة، فتُقابَلُ إمَّا بالرفض عن الاعتذار، وأنَّ هذا العمل إنَّما يُعبِّر عن حُرِّيَّةِ الرأي، وإمَّا بالسكوتِ وعدمِ المبالاةِ من كلِّ هذه الجهات.

وهل نَسيتَ أيُّها الرجلُ ما قامت به مُنَظَّمةٌ نصرانيةٌ من تشويهِ صورةِ النَّبِيِّ ﷺ،

وَوَصفِهِ بأَبْشَعِ الصفاتِ، وسَعْيِ هذه المنظَّمةِ بدون كَلَلٍ لوَقفِ انتشارِ الإسلام! هذه الْمُنظَّمة تُسمَّى «مُنظَّمة رابطة الرهبان لنَشرِ الإنجيل»، وتُدعَّم بالأموال الطائلة من الفاتيكان، وهي مُنظَّمةٌ كبيرةٌ، يَبلُغُ عددُ الناشطين فيها المليون!!

كيف تُبرِّئ ساحةَ أوروبا وأمثلُ مَن فيها يعملون هذه الأعمال؟! وهل يُوافقك المسلمون على هذه التبرئة ووصف الجريمة بأنَّها شخصية؟!

هذه هي ثَمرةُ الجهود الإسلامية المسيحية! ومدِّ جسور التعاون مع أتباع الديانات أو أُخُوَّة الأديان!

إنَّ خسارةَ الإسلامِ والمسلمين كبيرةٌ جدًّا في هذا التآخي والتعاون، والمكاسبَ كبيرةٌ لِمَن يُجيدون التلاعبَ بعُقُول المسلمين وعواطفهم العمياء!

فعلى المسلمين أن يتَفَطَّنوا لِمكائِدِ الأعداء التي ترمي إلى إخراجهم من دينهم.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وليعلم المسلمون وغيرُهم أنّ الإسلام يُكَرِّم الأنبياءَ والرُّسُلَ وما أُنزِلَ إليهم من كُتُب. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فيؤمن المسلمون بهؤلاءِ الرسل ويُجِلُّونَهُم ويُوَقِّرُونَهُم، ويعتقدون أنّ مَن كَذَّب رسولًا منهم فقد كَذَّب الرُّسُلَ جميعًا، ومَنِ انتَقَصَ واحدًا منهم فقد

انتَقَصَهُم جميعًا، وأنَّ مَن كَفَر بكتابٍ واحدٍ فقد كَفَرَ بالكُتُبِ جميعًا.

هذا هو مَوقِفُ الإسلامِ والمسلمين من الأنبياءِ والرُّسُلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ وما أُنزِلَ إليهم من الكُتُب.

بل يُؤمِنُ المسلمون أنّ دِينَ الأنبياءِ والرُّسُلِ جميعًا واحدٌ، وهو الإسلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» [البخاري: ٣٤٤٣، مسلم: ٢٣٦٥].

فهل مَوقِفُ اليهودِ والنصارى مثلُ موقفِ المسلمين؟

الجواب: كلاَّ! فإنّهم قد كذَّبوا التوراة والإنجيل قبل أن يُكذِّبوا القرآن!

لقد بَشَّرَتِ التوراةُ والإنجيلُ بِمُحمَّدٍ ورسالته، فكَذَّبُوا هذه البشائرَ، وكَذَّبُوا بالقرآنِ، وكَذَّبُوا مُحمَّدًا ﷺ وكفَرُوا به.

ووَصَفَتِ التوراةُ والإنجيلُ مُحمَّدًا ﷺ وأصحابَه الكرامَ بأَجْمَلِ الصفاتِ وأَفضَلِها، فَكَذَّبُوا بذلك.

وقابلوا مُحمَّدا وأصحابَه بالعداوةِ والبغضاءِ والتكذيب.

ودَعَتِ التوراةُ والإنجيلُ إلى عبادةِ اللهِ وإخلاصِ الدِّينِ له، فكَفَرُوا بعقيدةِ التوحيدِ، واستَبدَلُوا بها الشِّرْكَ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣٢].

فهذا هو مَوقِفُ اليهودِ والنصارى مِن رسالاتِ الإيمانِ والتوحيدِ؛ جعلوا من الأنبياءِ والدعاةِ إلى توحيدِ الله وعبادتِه وَحدَهُ وإخلاصِ الدِّينِ له أَبنَاءً للهِ، تعالى اللهُ وتَنَزَّه عن هذا الكُفرِ والتَّنَقُّص للهِ ربِّ العالمين!

اتَّخَذُوا أحبارَهُم ورُهبانَهُم أربابًا من دون الله، فماذا تركوا للبُوذِيِّينَ والوَثَنِيِّين؟!

وكَذَّبُوا مُحمَّدًا ورسالتَه، وجهدوا في إطفاءِ نورِ اللهِ ولايزالون، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وعلى رأسهم اليهود والنصارى.

فكيف تَقرِنُ هذه الدياناتِ الكافرةِ بدينِ اللهِ الحقِّ ودِينِ رُسُلِهِ وأنبِيَائِه عليهم الصلاة والسلام؟!

ومِمَّا يُؤسَفُ له أنَّ مُفتِي مصرَ يرى أنّ المسلمين لا يستطيعون الانتصارَ لرسولِ اللهِ إلاّ إذا أُلصِقَت قضيَّتُه بالدفاعِ عن الأديانِ، ومنها النصرانيةُ واليهوديةُ، وإدخال قضية الرسول والإسلام تحت هذه العباءة!

يا مُفتِي مصر؛ لَيتَكَ لم تَذهَب إلى إيرلندا وغيرِها برُفقَةِ رئيسِ الكنيسةِ الأُسقُفِيَّة بِمصرَ لتدعُوَ إلى الدفاعِ عن الأديانِ الباطلةِ، ما هذا الدَّمجُ الغريبُ بين الإسلامِ والكُفرِ والشِّركِ.

الواجب، أيّها الْمُفتِي، أن تأتِيَ الوفودُ النصرانيةُ دِينِيَّةً وسياسيةً إلى المسلمين لتَعتَذِرَ إليهم من هذه الإساءة والسُّخرِيَّةِ من رسولِ اللهِ أَفضَلِ الْخَلقِ، لا أن يَذهَبَ مُفتِي مِصرَ إليهم في ديارهم ليدافع عن رسولِ اللهِ ﷺ بهذه الصورةِ الْمُزرِيَةِ التي تَعتَرِفُ بأُخُوَّةِ الأديان، وتدافع عنها!

أَلاَ تُنَزِّه رسولَ اللهِ ﷺ عن مثلِ هذه الصورةِ الْمُزرِيَةِ من الدفاع والأخذِ بِحَقِّه؟

أينَ أنتَ من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فالإسلامُ وَحدَهُ هو دينُ اللهِ؟!

ألا تَعلَمُ أنَّ القرآنَ مليءٌ بذَمِّ اليهوديَّةِ والنصرانيَّةِ والحكمِ على أهلِها بالكفر؟!

أينَ أنتَ مِن قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]؟!

أينَ أنتَ مِن قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]؟!

إنّ الواجبَ على مُفتِي مصرَ ومَن يَدورُ في فَلَكِهِ من الكُتَّاب وغيرِهم أن يدافعوا عن الرسولِ ﷺ وعن رسالتِه وإِكرامُها وإبرازُ عَظَمَتِها ومكانتِها وتَمَيُّزَها عن الديانات الوثنية والْمُحَرَّفةِ.

يجب أن يُطالِبَ المسلمون بحقِّ الرسولِ وبحقِّ الإسلام بطريقةٍ إسلاميةٍ واضحةٍ تَنبُعُ من القرآنِ والسُّنَّة، وأن يَجتَنِبُوا هذا الْخَلْطَ الذي يُفسِدُ عقائدَ المسلمين، ويقضي على الفوارِقِ الكبيرةِ العظيمةِ بين الإسلامِ والكفر.

ولا يجوز لهم أن يَفتَحُوا الأبوابَ للانِتِهازِيِّين، من العِلمانِيِّين واللِّبرالِيِّين، ولليهودِ والنصارى أن يُضَلِّلُوا عَوَامَّ المسلمين، فيُوقِعُوهُم في الاعتقادِ بأُخُوَّةِ الأديانِ الباطلةِ، ومنها اليهوديَّةُ والنصرانيَّةُ، ولا يجوزُ أن يُمَكَّنَ هؤلاءِ مِن نَشرِ

هذا الضلالِ في أوساطِ المسلمين وإقناعهم به.

ويجبُ أن يُبَصَّرَ المسلمون بأنّ الإسلامَ وَحدَهُ هو دينُ اللهِ الحقُّ، وأنّه ليس بَعدَ هذا الحقِّ إلاّ الضلالُ والكُفرُ، وأنّ الدعوةَ إلى حُرِّيَّةِ الأديانِ وأُخُوَّةِ الأديانِ أو وحدَةِ الأديانِ إنَّما هي دعوةٌ إلى الكُفْرِ وإلى إخراجِ المسلمين مِن دِينِهِم!

إنّها دعوةٌ ماكِرَةٌ ومَكيدةٌ للإسلام والمسلمين يَرفُضُها القرآنُ والسُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ، كما يَرفُضُها إجماعُ علماءِ الإسلامِ.

وكلُّ الأديانِ لا تُكِنُّ للإسلامِ والمسلمين إلاّ العداوةَ والبَغضَاءَ.

ومِن واجبِ المسلمين ومِن أُصولِهِم وثوابِتِهِم التي لا يَجوزُ أن تُمَسّ: هو اتِّباعُ الأنبيَاءِ عليهم الصلاة والسلام في معاداةِ وبُغضِ الوَثَنِيَّاتِ وأَهلِها، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ١-٤]، وهذه حقيقةٌ ثابتةٌ يَعرِفُها ويَعتَقِدُها كلٌّ مِنَ المسلمين وأعداءِ الإسلامِ، إلاّ مَن لُبِّس عليه.

وبَعدَ معرفةِ حالِهِم، كيف نتعامل معهم؟

نتعامل معهم في حدود ما شرعه الله:

١- أن نَدعُوَهُم إلى الإسلام، فنقولَ لَهُم كما قال اللهُ تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٢- أن نُعامِلَهُم تِجارِيًّا فيما أباح لنا شَرعُ اللهِ من البيعِ والشراءِ والاقتراضِ الذي لا رِبا فيه.

٣- أن تَنشَأَ بيننا وبينَهُم علاقاتٌ سياسيةٌ في شكلِ سَفاراتٍ من الْجانِبَيْن.

٤- وأن نَفِي بالعهودِ التي تُبرَمُ بيننا وبينهم، سواءً كانوا أهلَ ذِمَّةٍ أو مُستَأْمَنِينَ أو مُحارِبِينَ قام بَيْنَنَا وبينَهُم عَهدُ سلامٍ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وغيرُ ذلك من الآياتِ والأحاديثِ في هذا الباب.

٥- وأن نُعامِلَهُم بالعدلِ، فلا نَظلِمُهُم في مالٍ ولا دَمٍ ولا عِرضٍ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ [المائدة: ٨].

وما وراءَ ذلك مِمَّا يُرَوِّجُ له اليومَ بعضُ الناسِ وبعضُ الصُّحُفِ وبعضُ المواقِعِ من الدعوةِ إلى أُخُوَّةِ الأديانِ والدفاعِ عن مُقَدَّساتِ الأديان...إلخ، فالإسلام منه بَراءٌ، ويجب على علماءِ الإسلام أن يَتَصَدَّوْا له نُصحًا للهِ ولكتابِهِ ولرسولِه وللمسلمين، وقِيامًا بالعَهدِ الذي أَخَذَهُ اللهُ عليهم والأمانةِ التي حَمَلوها.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ دِينَكَ، وَأَعْلِ كَلِمَتَكَ، وَانْتَصِرْ لِنَبِيِّكَ وَدِينِكَ، إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ هذه الأُمَّةَ للتَمَسُّكِ بدِينِها، والاِعتزازِ به، إنَّكَ سَميعُ الدعاء.

وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنا مُحمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه:

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

في ٦/ محرّم/ ١٤٢٧هـ

نصيحة ودعوة

للبابوات إلى الإسلام

للشيخ

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وعلى آلِه وصحبِه ومَنِ اتَّبَع هُداهُ.

أمّا بعد:

فَقَد أُذِيع وأُشِيعَ في وسائلِ الإعلامِ مِن إذاعاتٍ وصُحُفٍ ومواقعَ فضائيةٍ بِأنَّ بابا الفاتيكان بِنِدِيكْتْ السادس عشر قد طَعَن في الإسلامِ ورسولِ اللهِ مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، ووَصَفَهُ ورسالَتَهُ بالشَرِّ ومُجافاةِ العَقلِ!

وهذا أمرٌ عجيبٌ ومُذهِلٌ ومُصادِمٌ للمَنطِقِ والعَقلِ ولِحقيقةِ الإسلامِ الناصعةِ، ذلكُمُ الإسلامُ الذي أَخرَجَ اللهُ به البشريةَ من الظلماتِ إلى النورِ، ومِن جَوْرِ الأديانِ إلى عَدلِ الإسلامِ، الذي شَهِد به عقلاءُ الأعداءُ.

ولا أُطِيلُ في مَدحِ الإسلامِ ورسولِ الإسلامِ، فإنّه قد امتَلأَتْ به الدنيا، وزَخرَت به الْمَكتَباتُ، وأَختَصِرُ فأقول:

إنّ مُحَمَّدا رسولُ اللهِ حقًّا وصِدقًا، أرسله اللهُ رحمةً للعالمين.

أَرسَلَهُ بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى اللهِ وسراجًا مُنِيرًا.

جاء باحتِرامِ الأنبياءِ وكُتُبِهم، بل جاء بِحُبِّهِم والإيمانِ بهم وبكُتُبِهِم.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى آمِرًا مُحَمَّدًا ﷺ وأُمَّتَه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن

رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بالعدلِ والإحسانِ، ناهيًا عن الفحشاءِ والْمُنكَرِ والبَغْيِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

جاء بالجهادِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وللقضاءِ على الكُفرِ والشِرْك والفسادِ.

وقد سبقه إلى ذلك موسى عليه الصلاة والسلام وأنبياءُ بَنِي إسرائيل مِن بَعدِه.

وجاء بشَرْعِيَّةِ القِصاصِ والْحُدودِ لِحِفْظِ الدِّينِ والأَنْفُسِ والأَعراضِ والأموالِ.

وقد سبقه إلى ذلك موسى وأنبياءُ بَنِي إسرائيل مِن بَعدِه، وذلك خيرٌ وإحسانٌ وحِفظٌ للأَعراضِ والأموالِ . . . إلخ، ولإشاعةِ الأَمنِ والأَمَانِ وجَلبِ الْمَصالِحِ ودَرْءِ الْمَفاسِدِ.

ولا يَصِفُ مُحَمَّدًا ورسالتَه بالشَّرِّ إلاَّ كاذبٌ كَفَّارٌ طاعِنٌ في موسى ورسالِته، وطاعنٌ في الأنبياءِ بَعدَهُ الذين كانوا يَحكُمُون بالتوراة!

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ

كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٤-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقد كَفَر اليهودُ والنصارى بالتوراةِ والإنجيلِ، فلم يَعمَلُوا بِما فيهما مِن عقائدَ وأحكامٍ.

وكَذَّبوا مُحَمَّدًا ﷺ الذي جاء مُصَدِّقًا للأنبياءِ وكُتُبِهِم، ومنها التوراةُ والإنجيلُ.

كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ وما تَضَمَّنَتهُ رسالتُه من تصديقٍ للأنبياءِ جميعًا، وتصديقٍ لِما في التوراةِ والإنجيلِ وما فيهما مِن عقائدَ وأحكامٍ، إلاّ ما نَسَخَهُ الإسلامُ.

وحاربوه أَشَدَّ الْحَرْبِ، ولا سِيَمَا أَحبارُهُم ورُهبانُهُم وبابَوَاتُهُم كِبْرًا وبَطَرًا وحَسَدًا وبَغْيًا بَعدَ أن حَرَّفُوا كُتُبَهُم، وتلاعبوا بنصوصِهَا، وحَوَّلُوا ما فيها من عقائدِ وتوحيدٍ وإيمانٍ إلى شِرْكٍ وكُفرانٍ، وعَطَّلُوا ما فيها من أحكام!!

فإذا كان هذا مَوقِفَهُم مِن كُتُبِهِم التي يَدَّعون الإيمانَ بها، فكيف يَصعُبُ عليهم الكُفرُ بِمُحَمَّدٍ وبِما جاء به من قرآنٍ لا يأتيه الباطل مِن بينِ يَدَيْهِ ولا مِن خَلفِهِ؟!

يا أهلَ الكتابِ؛ تُوبُوا إلى اللهِ توبةً نَصوحًا، وَاتَّبِعُوا مُحَمَّدًا الذي بَشَّرَت به كُتُبُكُم، وبَشَّرَ به عيسى عليه الصلاة والسلام، حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصفّ: ٦].

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٩].

يا مَن يُسمَّى «بابا الفاتيكان»؛ أَسْلِمْ تَسْلَم، يُؤتِكَ اللهُ الأجرَ مَرَّتَيْنِ، فإن أَبَيْتَ فإنَّما عليك إِثْمُ أَتباعِكَ مِن النصارى الأُورُوبِّيِّين وغيرِ الأُورُوبِّيِّين.

أَسْلِمْ وَلْيُسْلِمْ أَهلُ مِلَّتِكَ، يُدْخُلْكُم اللهُ جَنَّةً عَرضُها السماواتُ والأرضُ أُعِدَّت للمتَّقين، أتباعِ الرُّسُلِ الصادقين.

آمِنْ بهذا القرآنِ العظيمِ الذي هَيْمَنَ على كلِّ الرسالاتِ، وجاء بالعقائدِ الصحيحةِ والأحكامِ العادلةِ التي تُؤَيِّدُها العقولُ الراجحةُ والفِطَرُ السليمةُ.

آمِنْ أَنْتَ وأَتباعُكَ بهذا القرآنِ الذي تَضَمَّنَ ما ذَكَرتُ لكم، وبَلَغَ مَرتَبَةً من الإعجازِ لا يَلحَقُهُ إعجازٌ مادّيٌّ ولا مَعنَوِيٌّ.

تَحدَّى اللهُ الجنَّ والإنس أن يأتوا بِمِثله فعجزوا أن يأتوا بِمثله، بل عجزوا أن يأتوا بعَشرِ سُوَرٍ مِن مثلِه! بل عجزوا أن يأتوا بسورةٍ من مثلِه!

عجزوا، وعجزوا، وعجزوا ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا.

وفي هذا وحده ما يدعو البابوات وأتباعَهم إلى الإيمان لو كان عندهم حَظٌّ من العقلِ والتعقُّلِ والإدراكِ والإنصافِ.

أَسلِمُوا أيّها البابوات تَسلَمُوا وتَغنَمُوا جَنَّةً عَرضُها السماواتُ والأرضُ، وإلاّ فأَيْقِنُوا بالعذابِ الشديدِ الخالدِ مِن نارٍ أَعَدَّها اللهُ للكافرين، حَرُّها شديدٌ، وقَعرُها بعيد!

قال تعالى في القرآن العظيم وكتابه الحكيم: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

وقال تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [الْمُزَّمِّل: ١١-١٦].

أيُّها البابوات؛ لا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدنيا، ولا يَغُرَّنَّكُم باللهِ الغرورُ، واعلموا أنّ أَسلافَكُم قد حَرَّفُوا كُتُبَكُم، وأَفسَدُوا مِلَّتَكُم، وجعلوا مِن البَشَرِ آلِهَةً من دون الله، وَادَّعَوْا أنّ عيسى ابنُ اللهِ أو ثالثُ ثلاثةٍ تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرا.

قال اللهُ في كتابِه الخالدِ الْمُعجزِ الْمَحفوظِ من التحريفِ والتبديلِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

وقال تعالى في هذا الكتابِ العظيمِ الْمُعجِزِ: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٩-٩٥].

يا أهلَ الكتابِ، ويا أَيُّها البابوات؛ لقد جاء كلُّ الرُّسُلِ بالتوحيد، وحارَبُوا الشِرْك، ومنهم عيسى عليه الصلاة السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فأمر ﷺ بعبادةِ اللهِ وَحدَهُ، وصَرَّحَ بأنَّ اللهَ رَبُّهُ وربُّ مَن خاطَبَهُم وأُرْسِل إليهم، وأنّ من يُشرِك باللهِ فقد حَرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ، ومَأْواهُ النارُ.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

فَانتَهُوا أيُّها النصارى والبابوات عَمَّا حَذَّرَكُمُ اللهُ مِن تَألِيهِ عيسى وغيرِه من المخلوقاتِ، وإلاّ فأنتم على الكُفرِ والشِرْك، وجزاءُ ذلك أن يُحَرِّمَ اللهُ عليكم الْجَنَّةَ، وأن يَجعَلَ مأواكم النار.

ولا تَغْتَرُّوا بِما وَجَدتُّم عليه أسلافَكُم وبابواتِكُم ورهبانكُم، فإنَّهُم واللهِ على الباطلِ والكُفرِ، ولقد حَرَّفُوا التوراةَ والإنجيلَ كما أَسلَفْتُ لكم.

ولا تَظُنُّوا أنّ عيسى سَيَشفَعُ لكم، أو يُدخِلُكُمُ الْجَنَّةَ ويُنجِيكُم من النار! لأنّ هذا ليس بِيَدِه، ولأنَّكُم قد خالَفتُموهُ وخالَفتُم عقيدتَه عقيدةَ التوحيدِ، واتَّخَذتُمُوهُ إِلَهًا، وهو يُكفِّر مَن يَفعَل ذلك، وسَيَتَبَرَّأُ منكم ومِن ضلالِكُم ومِنِ اتِّخاذِكُم إيَّاهُ وأُمَّهُ إِلَهَيْنِ من دون الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨].

فهذا عيسى يَتَبَرَّأُ من عقيدةِ النصارى واعتقادِهِمُ الباطلِ فيه وفي أُمِّهِ أَنَّهُما إلهانِ مِن دونِ اللهِ، ويُصَرِّحُ أمامَ اللهِ أَنَّه ما أَمَرَ الناسَ إلاَّ بِمَا أَمَرَهُ به رَبُّهُ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾، فاللهُ رَبُّهُ ورَبُّ الناسِ، وأَنَّهُ مِن الْمُستَحِيلِ أن يَدَّعِيَ لنفسِهِ ولأُمِّهِ الإلَهِيَّةَ، وأن يَأمُرَ الناسَ بالشِرْك بالله.

فإن كَذَّبتُم بِما تَضَمَّنَهُ هذا الخطابُ مِن حقائقَ، وحاجَجْتُمْ وجادَلتُمْ في ذلك، فإنَّنِي أَدعُوكُم إلى الْمُباهَلَةِ، كما أَمَرَ اللهُ رسولَه الصادقَ الأمينَ، فقال له: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

ولِي ولكلِّ مُسلِمٍ في ذلك أسوةٌ حَسَنةٌ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

والسلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهدى.

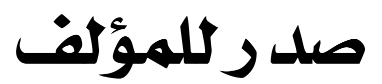
وكتبه:

ربيع بن هادي بن عُمير المدخلي

٢٤/ شعبان/ ١٤٢٧هـ

فهرس الموضوعات





الاعتصام بالكتاب والسنة
أمر ضروري لهذه الأمة

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

الميراث النبوي للنشر والتوزيع